

للشيخ المجاهد الحكيم

د. أيمن الظواهري حفظه الله

من الحلقة الأولى
حتى الحلقة السادسة والأخيرة

مؤسسة السحاب | جمادى الآخرة 1436

سلسلة

الربيع الإسلامي

من الحلقة الأولى حتى الحلقة السادسة والأخيرة

للشيخ المجاهد الحكيم:

د. أيمن الظواهري

حفظه الله



جمادى الآخرة 1436

فهرس الحلقات

الحلقة الأولى

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وآلِهِ وصحبِهِ ومن والاهُ

أيها الإخوةُ المسلمونَ في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.. وبعدُ:

فهذه سلسلةٌ أودُ أن أبدأَها معكم عن الربيعِ الإسلاميِ القادمِ بإذنِ اللهِ، فبرغمِ اشتدادِ الحملةِ الصليبيةِ على المسلمين من وزيرستانَ حتى مغربِ الإسلامِ، وبرغمِ انقضاضِ أنظمةِ الردةِ والعمالةِ على ثوراتِ الشعوبِ العربيةِ، وبرغمِ فشلِ الجماعاتِ التي سعت لتحكيمِ شريعةِ الإسلامِ عبرَ التحاكمِ لغيرِ الشريعةِ من شرائعِ العلمانيةِ والقوميةِ، برغمِ كلِ ذلك فإني أرى أن الربيعَ الإسلاميَ قد أوشك على البزوغِ بعونِ اللهِ.

***

ولكني قبلَ الشروعِ في هذه السلسلةِ أودُ أن أتطرقَ لعدةِ أمورٍ:

الأول: هو محاولاتُ إسرائيلُ لتهويدِ المسجدِ الأقصى، وهي الجريمةُ التي ستفجرُ طاقاتِ الأمةِ المسلمةِ بإذنِ اللهِ، والتي تثبتُ أن كلَ طرقِ المفاوضاتِ، والتفاهمِ مع المجتمعِ الدولي، والتوافقِ مع الخونةِ العلمانيين قد باءت بالفشلِ، وهي الطرقُ التي حذر منها المجاهدون، لأنها تتعارضُ مع العقيدةِ والشريعةِ، وبالتالي فهي تؤدي لخسارة الدينِ والدنيا.

وهذه الجريمةُ يجبُ أن تدفعَنا جميعًا لأن نوحدَ جهودَنا، ونرتفعَ فوقَ الخلافاتِ والمهاتراتِ والتوجهاتِ التي يثيرُها البعضُ بغيرِ دليلٍ، بل وأحيانًا بعكسِ الدليلِ، يجبُ أن نرتفعَ فوق هذه التوجهاتِ والاختلافاتِ، ونتوحدَ صفًا واحدًا في مواجهةِ العدوِ الصليبيِ الصهيونيِ، وهو يتحالفُ اليومَ مع الصفويين والنصيريين والعلمانيين، ومن هنا تبرزُ أهميةُ الجهادِ في الشامِ المباركِ، الذي يجبُ أن نجنبَه الفتنَ والصراعاتِ الداخليةِ والسياسيةِ، فإن النصرَ في الشامِ هو مقدمةُ الفتحِ لبيتِ المقدسِ إن شاء اللهُ.

وسأفردُ حلقةً من هذه السلسلةِ -إن شاء اللهُ- لفلسطينَ وجهادِ الأمةِ ضد إسرائيلَ.

والأمرُ الثاني هو: التعزيةُ في الشيخِ مختارٍ أبي الزبيرِ رحمه اللهُ.

فأهنئُ الأمةَ الإسلاميةَ ومجاهديها في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها وفي ثغرِ الإسلامِ الشرقيِ الجنوبيِ عامةً، وإخوانَنا الأحبابَ الأوفياءَ من مجاهدي وليوثِ الإسلامِ في شرقِ إفريقيا وأرضِ الهجرتين خاصةً، برحيلِ العالمِ العاملِ المرابطِ المهاجرِ الأخِ الحبيبِ الوفيِ الصادقِ -كما نحسبُه- فضيلةِ الشيخِ الأميرِ القائدِ/ مختارٍ أبي الزبيرِ رحمه اللهُ رحمةً واسعةً، وأسكنه الفردوسَ الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. وأسألُ اللهَ أن يجمعني به على خيرٍ في الفردوسِ الأعلى، غيرَ مبدلين ولا مغيرين ولا خزايا ولا نادمين.

تَنـــادوا فَقـــالوا أَردَتِ الخَيـــلُ فارِسًـــا ... فَقُلـــتُ أَعَبـــدُ اللهِ ذَلِكُـــمُ الـــرَدي

فَـــإن يَـــكُ عَبـــدُ اللهِ خَلّـــى مَكانَـــهُ		فَمـــــا كــــانَ وَقّافًـــا وَلا طـــائِشَ اليَـــــدِ

كَمـــيشُ الإِزارِ خـــارِجٌ نِصـــفُ ســـاقِهِ		صَـــــبورٌ عَلـــــى العَـــــزاءِ طَـــــلّاعُ أَنجُـــــدِ

قَليـــــلٌ تَشَـــكّيهِ المِصـــيباتِ حـــــافِظٌ		مِـــــنَ اليَـــومِ أَعقـــابَ الأَحاديـــثِ في غَـــدِ

تَـــراهُ خَمـــيصَ الـــبَطنِ وَالـــزادُ حاضِـــرٌ		عَتيــــدٌ وَيَغـــــدو في القَمـــــيصِ الـــــمُقَدَّدِ

وَإِن مَسَّـــــهُ الإِقـــــواءُ وَالجَهـــــدُ زادَهُ		سَماحًـــا وَإِتلافًـــا لِمـــا كـــانَ في اليَـــدِ

فَـــلا يُبعِـــدَنكَ اللهُ حَيًّـــا وَمَيِّتًـــا وَمَـــن		يَعلُـــــهُ رُكـــــنٌ مِـــــنَ الأَرضِ يَبعُـــــدِ

فرحمك اللهُ يا أبا الزبير فقد عهدناك نعمَ الأخِ ونعمَ الرفيقِ ونعمَ المعينِ ونعمَ الصادقِ الوفيِ, وقد أرسل لي –رحمه اللهُ– رسالةً في رمضانَ لعامِ ألفٍ وأربعِمائةٍ وأربعةٍ وثلاثين جاء فيها:

"قضيةُ تصرفِ الإخوةِ في الدولةِ نسألُ اللهَ أن يسامحَ الإخوةَ ويردَهم إلي الحقِ، فمثلُ هذه التبريراتِ لمخالفتِهم لم تكن متوقعةً من أمثالِهم، وخاصةً ونحن ندَّعي ليلَ نهارَ السعيَ لعودةِ الخلافةِ الإسلاميةِ، التي تضمُ المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وأرجو شيخي أن تصبرَ لهم، وتعفوَ عنهم، وتستوعبَ قصورَنا جميعًا، وتحاولَ الإصلاحَ والتداركَ".

وقد أرسلت له –رحمه اللهُ– رسالةً في جمادى الأولى لعامِ ألفٍ وأربعِمائةٍ وخمسةٍ وثلاثين، كتبتُ فيها:

"أنا أعلمُ مدى حزنِكم على ما يجري في الشامِ، واندلاعِ الفتنةِ العمياءِ فيه، والاستهانةِ بالحرماتِ الشرعيةِ، وإنكارِ الأمورِ المؤكدةِ كبيعةِ الدولةِ للقاعدةِ، والتدليسِ في ذلك، واستباحةِ التكفيرِ للمخالفِ، حتى أني وجدتُ في الموادِ القادمةِ من الشبكةِ شريطًا عن مناظرةٍ حولَ تكفيرِ العبدِ الفقيرِ للهِ، وأيًا كانت صحةُ هذا الشريطِ، فهي تبينُ المستوى الذي انحدر له المتورطون في الفتنةِ.

ومن يُكفرْ العبدَ الفقيرَ ويُفجرْ أبا خالدٍ السوريِ –رحمه اللهُ– فلن يتورعَ عن تكفيرِ وتفجيرِ كلِ من ينتقدُه أو يعارضُ مشاريعَه.

فالمرجو منكم أن تتواصَوا مع جميعِ الإخوةِ بألا يشاركوا في إشعالِ الفتنةِ، ومن لم يستطعْ أن يقل خيرًا فليصمتْ، وأن تُبلغوا إخوةَ الدولةِ والجبهةِ وغيرَهم أن الوحدةَ رحمةٌ والفرقةَ عذابٌ، وقد أرسلتُ من قبلُ للشيخِ الفاتحِ الجولانيِ بألا يشاركَ في أيِ عدوانٍ على المجاهدين، كما أمرتُ الجبهةَ بالتوقفِ عن المشاركةِ في أيِ عدوانٍ على المسلمين والمجاهدين، كما ناشدتُ الدولةَ في كلمةٍ على وشكِ الصدورِ على العودةِ للعراقِ، والرجوعِ للصفِ الواحدِ، حتى وإن اعتبروا ذلك ظلمًا لوقفِ هذا الشلالِ المتدفقِ من الدماءِ".

فرحمك اللهُ يا أبا الزبير وعوضنا في فقدِك خيرَ العوضِ، وعزاؤنا أنك قد لقيت الشهادةَ مقبلًا غيرَ مدبرٍ في مواجهةِ الصليبيين، فأسألُ اللهَ أن يتقبلَ شهادتَك وأخويك، ويغفرَ ذنوبَكم، ويرفعَ درجتَكم في العليين، ولا نقولُ إلا ما يرضي ربَنا، وهو بنا أرحمُ الراحمين.

هـــو الـــدهرُ والأقـــدارُ يجـــري بهـــا الـــدهرُ فمـــا لامـــرئٍ نهـــيٌ علـــى الدهـــرِ أو أمـــرُ
تصـــبرْ، ولـــو أنَّ الـــذي عـــالَ صـــبرَهُ مُصـــابُكَ هـــذا قـــدْ يكـــونُ لـــهُ عـــذرُ
مصـــابٌ بمـــنْ مِـــنْ فقـــدِهِم تـــذرِفُ الســـما وتنتحـــبُ الأرضـــونَ والـــبرُ والبحـــرُ
فسبحـــانَ مـــنْ أغـــري المنـــايا بـــأهلِهِ كـــأنَّ لهـــا ثـــأرًا، ولـــيسَ لهـــا ثأرُ
ليختـــارَ مـــنْ يختـــارُ مـــنهم ويصطفـــي لـــهُ الحكمـــةُ العليـــا، لـــهُ النهـــيُ والأمـــرُ
أولئـــكَ إخـــواني علـــى كـــلِ جبـــهةٍ بهـــا منهُـــم ذكـــرٌ، وفي ثغـــرِها قـــبرُ
قـــبورُهم بـــينَ الثغـــورِ غريبـــةٌ يباعـــدُ منهـــا الســـهلُ والجبـــلُ الـــوعرُ
وكـــم مِـــنْ غـــريبٍ في بـــلادٍ غريبـــةٍ وفي المـــلإِ الأعـــلي لـــهُ الشـــأنُ والـــذكرُ
تقِـــلُ هنـــاكَ الباكيـــاتُ علـــيهُمُ وفي أرضِـــهمْ باكـــونَ -لـــو علِمـــوا- كثـــرُ
تُعَمّـــرُ آفـــاقَ الثغـــورِ قبورُهُـــمْ وأوطانُهُـــمْ مِنْهُـــم مرابِعُهـــا قَفـــرُ
سقاهُـــمْ إلـــهُ العـــرشِ مـــنْ بحـــرِ جـــودِهِ حَيَـــا مستمـــرًا، لا بطـــيءٌ ولا نـــزرُ
أولئـــكَ إخـــواني فمـــنْ لي بمـــثلِهِم؟ بمثلِـــهُمُ يُسْتَـــنزلُ النـــصرُ والقـــطرُ

أما إخواني ليوثُ الإسلامِ في شرقِ إفريقيا المدافعين بصدورِهم ونحورِهم عن ثغرِ الإسلامِ الجنوبي الشرقي، فأقولُ لهم أيها الأحبابُ الأوفياءُ الصادقون، اثْبُتوا على الطريقِ، فإن هذا هو ثمنُ النصرِ، الذي أخبرنا عنه ربُنا سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾.

وأقرُ اختيارَهم للأخِ الكريمِ الشيخِ أبي عبيدةَ أحمدَ عمرَ أميرًا لهم، وأسألُ اللهَ أن يوفقَه لحملِ أمانةِ الدعوةِ والجهادِ، وأطلبُ منه أن يبذلَ كلَ ما يستطيعُ لكي تكونَ الشريعةُ هي الحاكمةَ والسيدةَ بلا منازعٍ في شرقِ إفريقيا، وأشددُ عليه وأؤكدُ بالدفاعِ عن حرماتِ وشرفِ وكرامةِ المسلمين في شرقِ إفريقيا ووسطِها، فاللهَ اللهَ في حرماتِ المسلمين وعزتِهم وكرامتِهم وأمنِهم وسلامتِهم في جوارِك، ولتصلَ الليلَ بالنهارِ وتبذلَ الغاليَ والنفيسَ، وتبذلَ الأرواحَ والأنفسَ في صيانتِهم وحفظِهم والدفاعِ عنهم، واللهُ معينُك ومقويك وناصرُك بعونِه ومددِه وقوتِه بفضلِه سبحانه.

وأطالبُه بأن يرسخَ من هيبةِ القضاءِ الشرعيِ ومكانتِه، ويؤكدَ على سلطانِه على الجميعِ القويِ قبل الضعيفِ والأميرِ قبل المأمورِ، وأن يرفُقَ بإخوانِه المجاهدين، ويسعى في استكمالِ حاجاتِهم، وإكمالِ مؤنتِهم، وتوفيرِ العيشِ الكريمِ لهم ولأسرِهم، وأوصيه وأشددُ في الطلبِ عليه برعايةِ أراملِ الشهداءِ وأيتامِهم، وأهلِ الأسارى وأبنائِهم، وأن يجدوا من كرمِه ورعايتِه وعطفِه واهتمامِه المقامَ الأولى والشغلَ المقدمَ، وأوصيه بمعاهدِ العلمِ والتعليمِ خيرَ وصيةٍ، فهي حصونُ الجهادِ ومحاضنُ الآسادِ، فلا يبخلن عليها بمددٍ ولا سببٍ، وأوصيه بسادتِنا العلماءِ والدعاةِ أن ييسرَ عليهم ويوفرَ حاجتَهم ويسدَ فاقتَهم ويعينَهم على التفرغِ لشرفِ الدعوةِ والبيانِ، وأوصيه بالشورى أن تكونَ نهجًا وسمتًا وأصلًا في عملِه، وليستعنْ بالحلمِ والصبرِ والعفوِ فإنهم خيرُ معينٍ للوالي على ولايتِه وللأميرِ على إمارتِه، وأخيرًا أوصيه بالأمةِ المسلمةِ في الصومالِ خيرَ وصيةٍ؛ أن يرحمَ ضعيفَهم ويعينَ محتاجَهم ويلبيَ حاجتَهم، وأنا أعلمُ أن عبأَه ثقيلٌ وحملَه كبيرٌ، ولكن فليستعنْ بأهلِ الصدقِ والخلقِ والوفاءِ والحكمةِ، ثم قبل كلِ ذلك فليجعلْ لنفسِه مع ربِه ساعةً يبثُه شكواه ويظهرُ فاقتَه ويستمدُ من مددِه ويرغبُ في إجابتِه، وليستبشرْ بقولِ الحقِ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾.

وأؤكدُ له أني وشخصَه الكريمَ وجميعَ الأمراءِ والمسؤولين الأفاضلِ في جماعةِ قاعدةِ الجهادِ ما نحن إلا جنودٌ لأميرِنا أميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ، نطيعُه ما قادنا بكتابِ اللهِ وسنةِ نبيِه صلى اللهُ عليه وسلم، لا نعصي له أمرًا، ولا ننقضُ له عهدًا، ولا ننكثُ له بيعةً، والله يعينني ويعينُك وسائرَ المسلمين على طاعتِه.

أما **الأمرُ الثالث**: الذي أودُ التطرقَ له قبلَ البدءِ في هذه السلسلةِ فهو:

تعزيةُ إخواننا المجاهدين في جماعةِ أنصارِ الشريعةِ بليبيا في استشهادِ أميرِهم الشيخِ محمد الزهاوي رحمه اللهُ رحمةً واسعةً، فأسألُ اللهَ سبحانه أن يعوضَهم خيرَ عوضٍ عما أصابهم، وأن يوفقَهم لطاعتِه والاستمرارِ في جهادِهم، حتى تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا وكلمةُ الذين كفروا هي السفلى، وحتى تسودَ الشريعةُ ربوعَ ليبيا المباركَةِ حاكمةً لا محكومةً آمرةً لا مأمورةً قائدةً لا مقودةً.

والأمرُ الرابع الذي أودُ التطرقَ له قبلَ البدءِ في هذه السلسلةِ فهو:

شكرُ الأخوين أبي ناصرٍ الوحيشي نائبِ أميرِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ وأميرِ تنظيمِ القاعدةِ بجزيرةِ العربِ والأخِ أبي مصعبٍ عبدِ الودودِ أميرِ تنظيمِ قاعدةِ الجهادِ ببلادِ المغربِ الإسلامي على بيانِهما بشأنِ الدعوةِ لإيقافِ القتالِ في

ساحةِ العراقِ والشامِ، فجزاهما اللهُ خيرَ الجزاءِ على سعيِهما المباركِ المقبولِ –بإذنِ اللهِ– لحقنِ دماءِ المسلمين وتوحيدِهم صفًا واحدًا ضد عدوِهم الصليبيِ الصفويِ العلمانِي.

ولكن للأسفِ كان جزاؤهما على دعوتِهما للوحدةِ أن كافأهما البغداديُ ومن معه بدعوةِ المجاهدين في الجزائرِ واليمنِ لشقِ الصفِ ونكثِ البيعةِ، كما نكثها هو ومن معه من قبل، ودعوَهم للقفزِ من بيعةٍ لبيعةٍ، وكأنها ثيابٌ تُخلعُ أو عرضٌ يُشترى ويُباعُ.

لقد أراد الشيخانِ الكريمانِ إطفاءَ الفتنةِ في الشامِ، وأراد البغداديُ ومن معه نقلَ فتنةِ الشامِ لكلِ مكانٍ.

وكذلك أشكرُ إخواني في تنظيمِ قاعدةِ الجهادِ في جزيرةِ العربِ على كلمةِ الأخِ الكريمِ فضيلةِ الشيخِ حارثٍ بن غازي النظاريِ –رحمه اللهُ– بعنوانِ "بيانٌ بشأنِ ما ورد في كلمةِ الشيخِ أبي بكرٍ البغداديِ بعنوانِ (ولو كره الكافرون)".

وهنا أتوقفُ لأسأل اللهَ سبحانه أن يتغمدَ برحمتِه ورضوانِه فضيلةَ الشيخِ العالمِ العاملِ المجاهدِ –كما نحسبُه– حارثِ النظاريِ، الذي ضرب مثلًا للعلماءِ وطلبةِ العلمِ العاملين، الذين يُستشهدون في الميدانِ فيمزجون مدادَ العلماءِ بدماءِ الشهداءِ، ويقيمون الحجةَ على كلِ من تخلف عن الجهادِ العينيِ لدفعِ الصائلِ الصليبيِ الرافضيِ العلمانِي على ديارِ الإسلامِ، فأسألُ اللهَ أن يعوضنا وأمةَ المسلمين عنه خيرَ العوضِ، وأن يرزقَ أهلَه وإخوانَه الصبرَ والسلوانَ، وأن يجمعنا به غيرَ مبدلين ولا مغيرين.

وأعودُ لحديثِ الفتنةِ التي يسعى البغداديُ ومن معه لإثارتِها في صفوفِ المجاهدين لينكثوا بيعاتِهم، كما فعل هو وإخوانُه، فأقولُ:

أني كنتُ قد أعددتُ عددًا من الحلقاتِ ضمن هذه السلسلةِ قبيل بدءِ الحملةِ الصليبيةِ الحاليةِ على العراقِ والشامِ، وفي هذه الحلقاتِ تعرضتُ بالتفصيلِ بالأدلةِ الشرعيةِ والتاريخيةِ والواقعيةِ والمستنداتِ والوثائقِ والمراسلاتِ للأحداثِ التي وقعت في الشامِ والعراقِ، والتي وصلت لإعلانِ أبي بكرِ البغداديِ خليفةً، ثم مطالبةِ ناطقِه الرسميِ لكلِ الجماعاتِ المجاهدةِ بأن تنقضَ بيعاتِها، وتسارعَ لمبايعةِ خليفةٍ فوجئَ الجميعُ بتنصيبِه. وقد انتهيتُ من جزءٍ كبيرٍ منها، وأوشكتُ على تصويرِه.

ولكن لما وقعت هذه الحملةُ الصليبيةُ قررتُ أن أتركَ هذه التفاصيلَ، وأركزَ على حديثِ الوحدةِ وإطفاءِ الخلافِ والتأكيدِ على جمعِ الصفِ المجاهدِ ضد هذه الحملةِ، ولكن للأسفِ جاءت كلمةُ أبي بكرٍ البغداديِ بعنوانِ: (ولو كره الكافرون) لتؤكدَ نفسَ المعاني السابقةِ، التي أصر هو وإخوانُه عليها من قبلُ.

وإني أرى أن أستمرَ –رغم هذا– في تناولِ ما يحدثُ في الشامِ والعراقِ من زاويةِ توحيدِ الصفوفِ المجاهدةِ ضد الحملةِ الصليبيةِ الحاليةِ.

وأرجو أن يقدرَ أهلُ التقوى والعقلِ ذلك، ولا يضطروني للخوضِ في التفاصيلِ الخطيرةِ، التي تطرقتُ إليها لمامًا، لعل الإخوةَ أن يوحدوا صفوفَهم وينبِذوا اجتهاداتِهم التي خالفوا فيها سائرَ إخوانِهم.

وقد كنتُ قد أرسلتُ لإخواني في أفرعِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ بأن يحرصوا على ألا يقولوا إلا ما يُوقفُ القتالَ بين المجاهدين في الشامِ، وأن يسعَوا بكلِ ما يستطيعون لإيقافِ هذه الفتنةِ، كما فوضتُ أخي الكريمَ ونائبَ أميرِ الجماعةِ فضيلةَ الشيخِ أبي بصيرٍ ناصرٍ الوحيشي بأن يبذلَ كل ما يستطيعُ لإيقافِ القتالِ الدائرِ بين المجاهدين في الشامِ.

وقد تحملنا كثيرًا من الأذى من أبي بكرٍ البغداديِ وإخوانِه، وآثرنا أن نردَ بأقلِ ما يمكنُ حرصًا منا على أن نطفئَ نيرانَ الفتنةِ، ونفسحَ المجالَ لأهلِ الخيرِ في الإصلاحِ بين المجاهدين.

ولكنَّ أبا بكرٍ البغداديِ وإخوانَه لم يتركوا لنا خيارًا، فقد طالبوا جميعَ المجاهدين أن ينبِذوا بيعاتِهم الموثقةَ، ويبايعوهم على ما ادعوه من خلافةٍ.

بل بلغ الأمرُ بهؤلاءِ الإخوةِ أن يُنصبوا أنفسَهم أولياءَ أمرٍ للمسلمين بغيرِ مشورةٍ، وبغيرِ اعتناءٍ بمآسيهم ومصائبِهم، وكلُ همِهم جمعُ البيعاتِ وشقُ الصفوفِ.

ففي الوقتِ الذي كان إخوانُنا في الصومالِ يتعرضون لحملةٍ صليبيةٍ قاسيةٍ تَحالفَ فيها ضدهم الأعداءُ المحليون والدوليون، وفي الوقتِ الذي ابتلوا فيه باستشهادِ الشيخِ القائدِ المجاهدِ مختارٍ أبي الزبيرِ ورفيقيه رحمهم اللهُ رحمةً واسعةً، كان كلُ همِ هؤلاء الإخوةِ أن يطالبوا جنودَ حركةِ الشبابِ بالانشقاقِ عن إمارتِهم، ومبايعةِ من نصبوه خليفةً دونَ مشورةِ المسلمين.

وفي الوقتِ الذي كان يتعرضُ فيه إخوانُنا في مغربِ الإسلامِ لحملاتِ الصليبيين الفرنسيين والأمريكانِ، الذين يحشدون ضدهم، ويُنشئون القواعدَ لمحاربتِهم، كان كلُ همِ هؤلاء الإخوةِ أن يطالبوا مجاهدي المغربِ الإسلاميِ بالانشقاقِ عن إمارتِهم، ومبايعةِ من نصبوه خليفةً دون مشورةِ المسلمين.

وفي الوقتِ الذي كان إخوانُنا في جزيرةِ العربِ يتعرضون فيه لحملةٍ صليبيةٍ صفويةٍ علمانيةٍ خبيثةٍ، كان كلُ همِ هؤلاء الإخوةِ أن يطالبوا جنودَ قاعدةِ الجهادِ في جزيرةِ العربِ بالانشقاقِ عن إمارتِهم، ومبايعةِ من نصبوه خليفةً دون مشورةِ المسلمين. بل بلغ الأمرُ بأبي بكرٍ البغداديِ أن يصرحَ في كلمتِه بأن الحوثيين لم يجدوا من يتصدى لهم.

وفي الوقتِ الذي كانت غزةُ تحترقُ بالقنابلِ الإسرائيليةِ، لم يؤيدْها أبو بكرٍ البغداديِ بكلمةٍ واحدةٍ، بل كان كلُ همِه أن يبايعَه كلُ المجاهدين، بعد أن نصب نفسَه خليفةً دون مشورتِهم.

وفي الوقتِ الذي كانت تحترقُ فيه وزيرستانُ بحملةِ الجيشِ الباكستانيِ الخائنِ مشتركًا مع الطيرانِ الجاسوسيِ الأمريكيِ، تلك الحملةُ التي أُعلن عنها رسميًا قبل إعلانِ أبي بكرٍ البغداديِ نفسَه خليفةً دون مشورةِ المسلمين بقرابةِ عشرين يومًا، في هذا الوقتِ لم يكلفِ البغداديُ نفسَه أن يذكر وزيرستانَ بكلمةٍ واحدةٍ، وكان كلُ همِه أن ينشقَ جنودُ قاعدةِ الجهادِ عنها، ليبايعوا الخليفةَ الذي نصبوه دون مشورةٍ من المسلمين.

وفي الوقتِ الذي كان إخوانُنا في أفغانستانَ الصامدةِ الأبيةِ يخوضون أعظمَ المعاركِ في التاريخِ الإسلامي، ويكتبون صفحةً مجيدةً فيه، تحت قيادةِ أميرِهم وأميرِنا وأميرِ البغدادي الذي تنكر لبيعتِه، أميرِ المؤمنين الملا محمدٍ عمرَ مجاهدٍ. في هذا الوقتِ لم يذكرْهم البغداديُ بكلمةٍ واحدةٍ وهم يتعرضون للقصفِ الأمريكي ولحملاتِ الناتو، وتمتلئ سجونُ باكستانَ وأفغانستانَ بعشراتِ الآلافِ من أسراهم. وكان كلُ همِ البغدادي وإخوانِه أن ينكثَ جنودُ الإمارةِ الإسلاميةِ بيعتَهم لأميرِ المؤمنين أميرِنا الصابرِ المجاهدِ المتوكلِ على اللهِ، والذي أكرمه اللهُ بأن يتحققَ نصرُ الإسلامِ في أفغانستانَ على يديه، هذا الأميرُ الصابرُ الزاهدُ، الذي كان جنودُ دولةِ العراقِ الإسلاميةِ يهتِفون في أشرطتِهم باسمِه، هذا الأميرُ الصابرُ المصابرُ يطالبُ البغداديُ ومن معه جنودَه في أفغانستانَ وباكستانَ ووسطِ آسيا وشبهِ القارةِ الهنديةِ، وسائرِ الجماعاتِ المبايعةِ له ومنها جماعةُ قاعدةِ الجهادِ بسائرِ فروعِها بما فيها فرعُها في العراقِ؛ دولةُ العراقِ الإسلاميةُ، يطالبون كلَ هؤلاء أن ينكثوا بيعةَ أميرِهم وأميرِ البغدادي ومن معه، ويشقوا الصفَ، ويسايروهم فيما زعموه من خلافةٍ لم يشاوروا قبل إعلانِها إلا مجاهيلَ لا نعرفُ أسماءَهم، ولا حتى كناهم التي يتخفون بها.

وأنا هنا أودُ أن أسألَ من نكث بيعتَه لأميرِ المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد حفظه اللهُ، بأيِ مبررٍ شرعيٍ نكثت تلك البيعةَ؟ وما هي المخالفةُ الشرعيةُ التي ارتكبتها الإمارةُ الإسلاميةُ حتى تحِلَ نكثُ بيعتِها؟

إن كان لديكم دليلٌ على مخالفةٍ شرعيةٍ تبررُ نكثَ البيعةِ فأبرزوه، لأننا بايعنا أميرَ الإمارةِ الإسلاميةِ على كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلم، فإن بدرت منه أو من الإمارةِ الإسلاميةِ مخالفةٌ شرعيةٌ واضحةٌ تبررُ نكثَ بيعتِهم نصحناهم، فإن لم يستجيبوا تركناهم، فإننا لم نبايعْهم لدنيا ولا مغنمٍ سياسيٍ.

أما أن ننكثَ بيعتَهم بغيرِ دليلٍ ولا مبررٍ شرعيٍ فهذه مخالفةٌ صريحةٌ للكتابِ والسنةِ.

وبعضُهم يبحثُ عن مبررٍ فيقولُ: إن الإمارةَ الإسلاميةَ موقفُها غيرُ واضحٍ من قضايا المسلمين، وقائلُ هذا القولِ ينكرُ التاريخَ والحقائقَ، فنحن في جماعةِ قاعدةِ الجهادِ –بفضلِ اللهِ– الدليلُ الحيُ الناطقُ على أن الإمارةَ الإسلاميةَ قد عادت أمريكا والغربَ الصليبيَ المتحالفَ معها وعملاءَها من طواغيتِ العربِ والعجمِ أشدَ العداءِ دفاعًا عن إخوانِها المهاجرين والمجاهدين، وضحى أميرُ المؤمنين الملا محمدُ عمر مجاهد –حفظه اللهُ– وسائرُ مسؤولي الإمارةِ بسلطانِهم وإمارتِهم حفاظًا على إخوانِهم المهاجرين والمجاهدين عامةً وفي جماعةِ قاعدةِ الجهادِ خاصةً، لذا فإن من يدعي أن الإمارةَ الإسلاميةَ موقفُها غيرُ واضحٍ من قضايا المسلمين ينكرُ الحقائقَ والتاريخَ، وصدق من قال:

وليس يصحُ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

وأميرُ المؤمنين الملا محمدُ عمر في أكثرَ من كلمةٍ يظهرُ تعاطفَه وتأييدَه لإخوانِه في فلسطينَ وفي سائرِ العالمِ الإسلامي.

وفي المقابلِ فإن البغداديَ لم يذكرِ المسلمين في غزةَ ولا في أفغانستانَ وباكستانَ ووزيرستانَ بكلمةٍ واحدةٍ، بينما الإمارةُ الإسلاميةُ مواقفُها الكريمةُ النبيلةُ القوليةُ والعمليةُ مستمرةٌ وواضحةٌ ومشكورةٌ.

لقد ضحى أميرُ المؤمنين الملا محمدُ عمر مجاهد –حفظه اللهُ– بسلطانِه حفاظًا على عهدِه ووعدِه، بينما ضحى البغداديُ بعهدِه طلبًا للسلطانِ، وهذا هو الفارقُ.

وأنا هنا أودُ أن أتوقفَ لأحكيَ موقفًا نبيلًا لأميرِ المؤمنين الملا محمدٍ عمر وإخوانِه وفقهم اللهُ للخيرِ ولنصرةِ المسلمين.

وذلك أنه لما قررتِ الإمارةُ الإسلاميةُ تغييرَ أسلوبِ الحربِ في بدايةِ الغزوِ الصليبي لأفغانستانَ من حربِ المواجهةِ التقليديةِ إلى حربِ العصاباتِ، وقررت أن تعيدَ توزيعَ قواتِها في الجبالِ والأريافِ والأطرافِ، وهو الأسلوبُ الذي أثبت نجاحَه، وكان بعد توفيقِ اللهِ سبحانه أحدَ أهمِ الأسبابِ في هزيمةِ الصليبيين في أفغانستانَ.

أقولُ: لما قررتِ الإمارةُ ذلك، قررت أن تنحازَ من قندهارَ العاصمةِ الفعليةِ للإمارةِ، ولم تقبلْ أن تسلمَ قندهارَ للصليبيين وعملائِهم، ولكن اختارت مجاهدًا سابقًا وهو الملا نقيب، الذي كان ينتمي للجمعيةِ الإسلاميةِ لتسلمَه المدينةَ، ووافق كرزاي على هذا الاتفاقِ، الذي رفضه الأمريكانُ بعد ذلك.

وفي هذه الظروفِ الشديدةِ حيثُ القصفُ ينهالُ على قندهارَ كالمطرِ، كان أميرُ المؤمنين –حفظه اللهُ– يؤجلُ تسليمَ المدينةِ يومًا بعد يومٍ لمدةِ ثلاثةِ أيامٍ، حتى اطمأنَ على خروجِ أسرِ العربِ من قندهارَ، مع ما في هذا التأجيلِ من خطرٍ شديدٍ على حياتِه وحياةِ مسؤولي وجنودِ الإمارةِ الإسلاميةِ، لأن الاتفاقَ كلَه قد ينهارُ بسببِ هذا التأجيلِ، ولما اطمأن أميرُ المؤمنين –حفظه الله– على إخلاءِ العربِ والمهاجرين لأسرِهم من قندهارَ، غادر هو وجنودُه بما فيهم المهاجرون قندهارَ.

هذا مثالٌ من الأمثلةِ العديدةِ لمآثرِ هذا البطلِ النبيلِ، الذي أسألُ اللهَ أن يثبتَه على الحقِ حتى يلقى اللهَ وهو راضٍ عنه.

ثم يأتي اليومَ متمردٌ على بيعةِ أميرِ المؤمنين، ليطالبَ الناسَ بالاقتداءِ به في التمردِ ونكثِ العهودِ.

وكان إخوانُنا في شبهِ القارةِ الهنديةِ يتعرضون للتنكيلِ المتكررِ في كشميرَ والهندِ وبورما وبنجلاديشَ، وكان كلُ همِ البغداديِ وإخوانِه أن يطالبوهم بنكثِ بيعتِهم وشقِ صفوفِ جماعتِهم.

وكان إخوانُنا في القوقازِ المسلمِ وعلى رأسِهم إخوانُنا في إمارةِ القوقازِ الإسلاميةِ، يخوضون أقسى المعاركِ، ويتعرضون للقهرِ والظلمِ الروسي، الذي يتصدون له من أربعةِ قرونٍ ونصفٍ، وكان كلُ همِ أبي بكرٍ البغداديِ أن يدعوُهم لشقِ صفِ إمارتِهم، ونكثِ بيعتِها، والمبادرةِ لما ادعاه دون مشورةِ المسلمين.

وفي مقابلِ هذا الموقفِ السيءِ أودُ أن أشيرَ للموقفِ النبيلِ لأميرِ المؤمنين الملا محمدٍ عمرَ مجاهد حفظه اللهُ، الذي كان رئيسَ الدولةِ الوحيدَ في العالمِ الذي اعترف بجمهوريةِ اشكيريا الإسلاميةِ، واستقبل مندوبَها الرئيسَ السابقَ الشهيدَ –كما نحسبه– زليم خان يندربي رحمه اللهُ، وقال له ولإخوانِه إن كلَ إمكاناتِ أفغانستانَ تحت تصرفِكم.

أميرُ المؤمنين يؤيدُ إخوانَه مجاهدي الشيشان بكلِ ما يستطيعُ، والبغداديُ ومجموعتُه يطالبون جنودَ إمارةِ القوقازِ الإسلاميةِ بنكثِ بيعتِها، والاقتداءِ بهم في نكثِ البيعاتِ والعهودِ.

سبحان اللهِ أي شقٍ للصفِ هذا؟ ولمصلحةِ من هذا؟

هذا لا يجوزُ للخليفةِ الشرعيِ الذي اختاره المسلمون برضاهم واتفاقِهم، لأن فيه إضعافٌ لتلك الجبهاتِ وهي في اشتباكٍ مع العدوِ، فكيف يدعو له من بايعه من لا نعرفُ، وفوجئ المجاهدون بتنصيبِه؟

أليس من مسؤوليةِ الخليفةِ أن يحفظَ بيضةِ المسلمين، ويحميَ ثغورَهم، ولكن خليفةَ هؤلاء الإخوةِ لم يكلفْ نفسَه أن يواسيَ ولو بكلمةٍ واحدةٍ إخوانَه المجاهدين الذين سبقوه على طريقِ الجهادِ بعقودٍ، ولا زالوا صامدين حتى اليومِ بنعمةِ اللهِ وفضلِه.

لم يذكرْ أو يؤيدْ هذا الخليفةُ بكلمةٍ واحدةٍ مجاهدي مغربِ الإسلامِ ولا الصومالِ ولا جزيرةِ العربِ ولا أفغانستانَ ولا غزةَ ولا شبهِ القارةِ الهنديةِ ولا الشيشانِ ولا الفلبينِ ولا إندونيسيا، وكان كلُ همِه وإخوانِه الدعوةُ لبيعتِه.

وأنا أسألُ هنا سؤالًا هامًا: لمصلحة من يصرحُ البغداديُ –وهو يزعمُ أنه خليفةٌ– بإلغاءِ الجماعاتِ الإسلاميةِ في المناطقِ التي بايعته فيها مجموعةٌ أو بعضُ الأفرادِ، ومن قَبلِه صرح ناطقُه الرسميُ بأن كلَ الجماعاتِ والإماراتِ الإسلاميةِ قد انتهت شرعيتُها بمبايعةِ مجلسِ شورى البغدادي المجهولين له.

لمصلحةِ من يطالبُ البغداديُ –وهو يزعمُ أنه خليفةٌ– بإلغاءِ إماراتٍ وجماعاتٍ مجاهدةٍ كبيرةٍ يتراوحُ عددُ أتباعِها من الآلافِ للملايينِ، وأمضت في الجهادِ عقودًا من التضحياتِ، شاركت في الجهادِ الأفغانِي، وبعضُها شارك في أحداثِ حماةَ أو في الانتفاضةِ الجهاديةِ على الساداتِ، أي قبل أن يشاركَ البغداديُ في الجهادِ بعقودٍ، وما زالت حتى اليومِ –بفضلِ اللهِ– صامدةً في وجهِ الكفرِ العالميِ والمحليِ، وقدمت عشراتِ الآلافِ من الشهداءِ، وأنفق الكفرُ العالميُ وعملاؤه المحليون الملياراتِ والسنينَ الطويلةَ في محاولةِ القضاءِ عليها، ولم ينجحْ بفضلِ اللهِ.

بأي كتابٍ أم بأي شريعةٍ يتجرأُ البغداديُ على أن يطالبَ بإلغاءِ الإمارةِ الإسلاميةِ في أفغانستانَ، وقد بايعها الملايينُ في أفغانستانَ وباكستانَ والهندِ ووسطِ آسيا وتركستانَ الشرقيةِ وإيرانَ وغيرِها، بل كلُ أفرعِ القاعدةِ مبايعةٌ لها، وعلى رأسِهم الإمامُ المجددُ الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ رحمه اللهُ، الذي بايعها، ودعا المسلمين لبيعتِها، بل البغداديُ نفسُه كان مبايعًا لها، ثم تمرد على هذه البيعةِ ونكثَها.

كيف يتجرأُ البغداديُ على إلغاءِ إمارةِ القوقازِ الإسلاميةِ لأن مجلسَ شوراه المجهولين قد اختاروه خليفةً؟ كيف يتجرأُ على ذلك وقد بدأ مجاهدو الشيشان المرحلةَ الأخيرةَ فقط من جهادِهم من أربعةٍ وعشرين سنةٍ، ومن قبلِهم تاريخٌ من أربعةِ قرونٍ ونصفٍ من الجهادِ ضد الروسِ.

كيف يعطي من تمرد ونكث البيعةَ وعصى أميرَه معصيةً واضحةً نفسَه الحقَ في أن ينصبَه ثلاثةٌ أو أربعةٌ من المجاهيلِ خليفةً، ثم يطالبُ من سبقوه في الجهادِ بعقودٍ أن يحُلوا أنفسَهم.

هل هذا إصلاحٌ أم إفسادٌ؟ وهل هذا توحيدٌ للكلمةِ أم تفريقٌ لها؟ وهل هذا عدلٌ أم ظلمٌ؟

والبغداديُ يزعمُ أنه يحقُ له ذلك لأنه خليفةٌ، وله عليهم حقُ السمعِ والطاعةِ، وكلا المقدمتين خاطئتان، فلا هو خليفةٌ، ولا هو يحقُ له عليهم السمعُ والطاعةُ، بل هو آخرُ من يحقُ له أن يحتجَ بالسمعِ والطاعةِ، لأنه متمردٌ على السمعِ والطاعةِ، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

ثم بنفسِ هذه الحُججِ المتهافتةِ يحقُ لأيِ شخصٍ آخرَ أن يُسميَ نفسَه أبا فلانٍ الحمصيَ أو الموصليَ، ويزعمُ أن أهلَ الحَلِ والعقدِ من المجاهيلِ قد اجتمعوا، وقرروا خلعَ أبي بكرٍ البغدادي، لأن أهلَ الحلِ والعقدِ كما يجوزُ لهم عقدُ الخلافةِ يجوزُ لهم أيضًا أن يحُلوها. وإذا سُئِل من أهلُ حلِك وعقدِك؟ فيجيبُ: ومن أهلُ حلِ وعقدِ أبي بكرٍ البغدادي؟ ويصبحُ السيفُ هو الحكمُ.

كما خرج الأمويون على العباسيين، لما أخذ العباسيون الحكمَ بالسيفِ، فهرب عبدُ الرحمنِ الداخلُ للأندلسِ، ونصب نفسَه خليفةً بالسيفِ، وأصبح للأمةِ المسلمةِ خليفتان.

ويصيرُ الأحقُ بالحكمِ من هو أشدُ تفجيرًا وتفخيخًا ونسفًا.

ثم أسألُ سؤالًا آخرَ؛ الآن الشامُ والعراقُ يتعرضان لحملةٍ صليبيةٍ شرسةٍ، تستهدفُ كلَ مجاهدٍ فيهما، بل الأمةُ المسلمةُ تتعرضُ لحملةٍ صليبيةٍ من الشيشانِ حتى مالي. فهل من مصلحةِ الإسلامِ والمسلمين أن نجمعَ المجاهدين ونؤجلَ الخلافاتِ بينهم، أم نخترعُ خلافاتٍ جديدةٍ وبحججٍ متهافتةٍ؟

هل من مصلحةِ الإسلامِ والمسلمين أن يطالبَ البغداديُ الجماعاتِ الأخرى في العراقِ والشامِ أن يحُلوا أنفسَهم بحججٍ متهافتةٍ، ويعتبرُهم عصاةً وبغاةً وخارجين على الجماعةِ، بينما القصفُ الصليبيُ يتساقطُ فوق رؤوسِهم جميعًا؟ هل هذا تصرفُ الحريصُ على وحدةِ المسلمين في مواجهةِ أعدائِهم؟

وأنا آسفٌ أن أتناولَ هذا الموضوعَ، ولكن البغداديَ ومن معه لم يتركوا لنا مجالًا للسكوتِ.

وَقُلْـــتُ لِعــــارِضٍ وَأَصــــحابِ عــــارِضٍ وَرَهـــطِ بَـــني السَـــوداءِ وَالقَـــومُ شُـــهَّدي

عَلانِيَـــــةً ظُنّـــوا بِأَلفَـــي مُـــــدَجَّجٍ سَـــــراتُهُمُ في الفارِسِــــيِّ المسَـــــرَّدِ

وَقُلْـــتُ لَهُـــم إِنَّ الأَحـــاليفَ أَصـــبَحَت مُطَنِّبَـــــةً بَـــينَ السِـــتارِ فَثَهمَـــدِ

فَمـــا فَتِئـــوا حَـــتّى رَأَوهـــا مُغـــيرَةً كَرِجـــلِ الـــدَبى في كُـــلِّ رَبـــعٍ وَفَدفَـــدِ

وَلَمّـــا رَأَيـــتُ الخَيـــلَ قُـــبلًا كَأَنَّهـــا جَـــرادٌ يُبـــاري وِجهَـــةَ الـــريحِ مُغتَـــدي

أَمَـــرتُهُمُ أَمـــري بِمُنعَـــرَجِ اللِـــوى فَلَـــم يَســـتَبينوا النُصـــحَ إِلّا ضُـــحى الغَـــدِ

ثم هناك سؤالٌ هامٌ وخطيرٌ بل وفي غايةِ الخطورةِ: هل إثارةُ هذا الخلافِ الآن ونحن نواجهُ هذه الحملةَ يسرُ الأمريكانَ أم يسوءهم؟ هل تمردُ البغداديِ ومن معه على إمارةِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ، ونكثُهم لبيعتِها المؤكدةِ المتواترةِ منهم، وهل عصيانُهم الصريحُ لأمرِ أميرِهم، وهل تعديهم على ولايةِ الملا محمدٍ عمرَ الذي كانوا يهتفون باسمِه، وهل إعلانُهم خلافةً ببيعةِ قلةٍ من المجهولين؟ ثم دعوةُ المجاهدين لشقِ الصفوفِ ونكثِ البيعاتِ بكلِ ما يمثلُ ذلك من إثارةٍ للخلافِ والفتنِ، هل كلُ ذلك مما يسرُ الأعداءَ أم يسوءهم؟ حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ.

إخواني الكرام أودُ أن أوضحَ هنا أمرًا هامًا وهو؛ أننا لا نعترفُ بهذه الخلافةِ، ولا نراها خلافةً على منهاجِ النبوةِ، بل هي إمارةُ استيلاءٍ بلا شورى، ولا يلزمُ المسلمين مبايعتُها، ولا نرى أبا بكرٍ البغداديَ أهلًا للخلافةِ.

وأكررُ مرة أخرى أننا لا نعترفُ بهذه الخلافةِ، ولا نراها خلافةً على منهاجِ النبوةِ، بل هي إمارةُ استيلاءٍ بلا شورى، ولا يلزمُ المسلمين مبايعتُها، ولا نرى أبا بكرٍ البغداديَ أهلًا للخلافةِ.

وهو الأمرُ الذي أكده علماءُ الجهادِ الربانيون الثابتون على الحق، رغمَ التضحياتِ العديدةِ التي قدموها في سبيلِ اللهِ كفضيلةِ الشيخِ أبي محمدٍ المقدسيِ وفضيلةِ الشيخِ أبي قتادة الفلسطينيِ وفضيلةِ الشيخِ هاني السباعيِ وفضيلةِ الشيخِ طارقٍ عبدِ الحليمِ حفظهم اللهُ.

وأنا هنا أودُ أن أوجهَ رسالةً للأمةِ المسلمةِ، أن ما قام به البغداديُ ومن معه، لا يمثلُ الاتجاهَ العامَ للحركةِ الجهاديةِ عامةً ولجماعةِ قاعدةِ الجهادِ خاصةً، فإننا لا نسعى لأن نحكمَ المسلمين ببيعةٍ سريةٍ، ونقهرُهم بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ، فليس هذا ما استشهد من أجلِه مشايخُ الجهادِ -رحمهم اللهُ- على مرِ العقودِ، فإنهم قد قدموا أرواحَهم وأغلى ما يملكون لإعادةِ الخلافةِ الراشدةِ، التي تقومُ الأمةُ فيها باختيارِ إمامِها الذي تتوفرُ فيه الشروطُ الشرعيةُ، ثم تحاسبُه، خلافةٌ تقومُ على اختيارِ أهلِ الحلِ والعقدِ، والرضا والشورى، لا على ما يقولُون: أخذناها مغالبةً وغصبًا بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ.

أمتَنا المسلمةَ.. إن اعتراضَنا على البغداديِ ومن معه في هذا الأمرِ، ليس خلافًا بين جماعتين ولا تنظيمين، ولكنه خلافٌ بين الأمةِ المسلمةِ التي تسعى لإعادةِ الخلافةِ الراشدةِ، وبين من يسعى لفرضِ الملكِ العضوضِ عليها، ويزعم أنه خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ.

وأنا آسفٌ أن أقولَ ذلك، ولكن البغداديَ وإخوانَه هم الذين اضطرونا له.

ولكن عدمَ اعترافِنا بخلافةِ البغداديِ ورؤيتَنا لها أنها ليست خلافةً على منهاجِ النبوةِ، لا يعني أننا ننكرُ كلَ إنجازٍ له ولإخوانِه.

فلا ننكرُ أن لهم إنجازاتٍ عديدةً، كما أن لهم أخطاءَ جسيمةً.

ورغم هذه الأخطاءِ الجسيمةِ؛ فلو كنت في العراقِ أو في الشامِ لتعاونتُ معهم في قتالِ الصليبيين والعلمانيين والنصيريين والصفويين، رغم عدمِ اعترافي بشرعيةِ دولتِهم ناهيك عن خلافتِهم.

لأن الأمرَ أكبرُ مني ومن زعمِهم إقامةَ الخلافةِ.

إنه أمرُ أمةٍ تتعرضُ لحملةٍ صليبيةٍ شرسةٍ، يجبُ على جميعِ المجاهدين أن يتكاتفوا ويتجمعوا لصدِها.

وسأفصلُ في الحديثِ عن الموقفِ الواجبِ تجاه الحملةِ الصليبيةِ في العراقِ والشامِ، وكذلك عن المعالمِ الإساسيةِ لخلافةِ النبوةِ فيما يأتي إن شاء اللهُ.

والأمرُ الخامس: الذي أودُ التطرقَ له قبل البدءِ هو:

تهنئةُ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ في شبهِ القارةِ الهنديةِ بالعمليةِ على البحريةِ الباكستانيةِ والأمريكيةِ، والتي أكدوا في البيانِ الصادرِ بشأنِها؛ أنهم يستهدفون أمريكا لأنها المسؤولةُ عن سفكِ دماءِ المسلمين في سوريا والعراقِ واليمنِ ومالي وبورما وبنجلاديشَ وأفغانستانَ وباكستانَ والهندِ وسائرِ بلادِ المسلمين، فأسألُ اللهَ أن يباركَ في جهودِهم، وأن يجعلَها سببًا في تحريرِ المسلمين في شبهِ القارةِ الهنديةِ من القهرِ والذلِ والاستعبادِ.

والأمرُ السادسُ: الذي أودُ التطرقَ له هو:

شكري لفضيلةِ الشيخِ أبي محمدٍ الداغستاني أميرِ إمارةِ القوقازِ الإسلاميةِ على رسالتِه الكريمةِ النبيلةِ، التي وجهها لعلماءِ الأمةِ عامةً، ولي ولأصحابِ الفضيلةِ المشايخِ أبي محمدٍ المقدسي وأبي قتادةَ الفلسطينيِ وهاني السباعيِ وطارقِ عبدِ الحليمِ وأبي المنذرِ الشنقيطيِ خاصةً.

وقد أكرمني بهذه الرسالةِ مرتين، الأولى بحسنِ ظنِه في، والثانيةُ أن ذكرني مع هؤلاء العلماءِ الأجلةِ، وما أنا إلا محبٌ للعلمِ والعلماءِ فقط، ولستُ بعالمٍ ولا متعلمٍ.

وقد استمعتُ من قبلُ لكلمتِه الكريمةِ للإخوةِ في الشامِ، والتي حذرهم فيها من الفتنِ ومن الخوضِ في دماءِ المسلمين وأعراضِهم، والتي أنهاها بقولِه الكريم: "واعلموا أن هذه الفتنةَ لا تخمدُ حتى يتنازلَ كلُ واحدٍ منكم للآخرِ، وتجلسوا حول طاولةِ الحوارِ، وتسمعوا وتطيعوا للقيادةِ العليا أو للمحكمةِ الشرعيةِ".

فأقولُ لفضيلةِ الشيخِ أبي محمدٍ: جزاكم اللهُ خيرَ الجزاءِ على ثقتِكم الغاليةِ، التي أرجو أن أكونَ أهلًا لها، وجزاكم اللهُ خيرَ الجزاءِ على نصيحتِكم القيمةِ لإخوانِنا المجاهدين في الشامِ العزيزِ.

فإن موقفَكم الساعيَ للإصلاحِ بين المجاهدين في هذه الفتنةِ هو موقفٌ نبيلٌ كريمٌ، وهو قدوةٌ تقتدى ومثلٌ يحتذى، وأحسبُ أنه من توفيقِ اللهِ لكم، فأكثروا من حمدِ اللهِ على هذا التوفيقِ.

وأُشهدُ اللهَ على مدى حبِي في اللهِ لكم ولسائرِ مجاهدي القوقازِ المسلمِ، ويعلمُ اللهَ مدى منزلةِ القوقازِ المسلمِ في قلبِي، ولعلكم تعلمون أني قد أمضيتُ قرابةَ ستةِ أشهرٍ في داغستانَ كان معظمُها في سجنِ سيزو أدين في محج قلعة، التي أرجو أن يعيدها اللهُ وسائرَ القوقازِ المسلمِ لسلطانِ الإسلامِ، وكان ذلك بسببِ القبضِ علي وأنا في طريقي للشيشانِ.

وفي تلك المدةِ تعرفتُ على عددٍ من أفاضلِ الإخوةِ، الذين أسألُ اللهَ أن يجزيهم عني خيرَ الجزاءِ، وأرجو أن يَبْلُغَهم سلامي ودعائي.

وقد عبرتُ عن بعضِ مشاعرِ هذا الحبِ لإخواني في القوقازِ المسلمِ في فصلِ (داغستانُ- الفرجُ بعد انقطاعِ السببِ) من الطبعةِ الثانيةِ لكتابي (فرسانٌ تحت رايةِ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم).

وشاء اللهُ ألا أكملَ رحلتي للشيشانِ، فقد انتقلتُ بعد خروجي من السجنِ إلى أفغانستانَ العزيزةِ، حيث أحسن استقبالَنا الإمامُ المجددُ الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ رحمه اللهُ، وأكرمني اللهُ بمصاحبتِه لمدةٍ متعددةٍ.

ورسالتُكم الكريمةُ التي تكرمتم بذكرِ اسمي فيها هي دليلٌ على أن أمتَنا واحدةٌ وأن فرحَها وألمها واحدٌ، وأن أخوةَ الإسلامِ باقيةٌ رغمَ كلِ محاولاتِ أعداءِ الإسلامِ لتقسيمِنا وتفريقِنا، كيف لا وقد تكفل المولى سبحانه بهذه الأخوةِ، وامتن بها على نبيِه الكريمِ صلى اللهُ عليه وسلم، حيث قال عز من قائلٍ: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فأرجو منكم ألا تبخلوا علي وعلى إخواني بنصحِكم وإرشادِكم، ولا تنسَونا من دعائِكم الصالحِ بتوفيقِ اللهِ.

وأبشرُكم بأننا على أبوابِ فتحٍ عظيمٍ، ومرحلةٍ مشرقةٍ في تاريخِ الإسلامِ بإذنِ اللهِ، ولعل اللهَ ييسرُ وألتقي بكم لأستفيدَ من علمِكم وحكمتِكم، وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ.

والأمرُ السابع الذي أودُ التطرقَ إليه قبل البدءِ في هذه السلسلةِ هو:

تذكيرُ إخواني المسلمين والمجاهدين بحقِ إخوانِنا الأسرى عليهم، أولئك الصابرون المحتسبون خلف قضبانِ العزلةِ وتحت ثقلِ القيودِ، يعانون المذلةَ تضحيةً منهم ونصرةً لدينِهم وأمتِهم.

وعلى رأسِ هؤلاء الصابرين؛ أخواتُنا الأسيراتُ في كلِ مكانٍ، وخاصةً أختَنا حسناءَ أرملةَ الشيخِ أبي حمزةَ المهاجرِ -رحمه اللهُ- وأخواتِها في سجونِ الحكومةِ الصفويةِ الأمريكيةِ في العراقِ، وأختَنا عافيةَ صديقي في أمريكا، وأختَنا هيلةَ القصير وأخواتِها في جزيرةِ العربِ، وسائرِ أخواتِنا الأسيراتِ في كلِ مكانٍ.

فأطلبُ من إخواني الذين لديهم رهائنُ يفاوضون عليهم، أن يجعلوا في مقدمةِ مطالبِهم أخواتِهم الأسيراتِ، وألا يتنازلوا عن ذلك ما أمكنهم، إلا أن تلجئَهم لذلك ضرورةٌ ملجئةٌ أو حاجةٌ ماسةٌ، ولو أمضى الرهينةُ عندهم ألفَ عامٍ، ولو أسروا في مقابلِ فكاكِ كلِ أختٍ من أخواتِنا ألفَ أسيرٍ.

وأنا هنا أحيي إخوانَنا في خراسانَ، الذين كان من مطالبِهم -للإفراجِ عن الأمريكيِ وارن وينشتاين- الإفراجُ عن أسرانا ومنهم أختانا عافيةُ صديقي وحسناءُ أرملةُ الشيخِ أبي حمزةَ المهاجرِ رحمه اللهُ.

وكذلك أحيي بالإكبارِ والاحترامِ والتقديرِ والثناءِ والشكرِ والدعاء إخواننا في جبهة النصرة نصر اللهُ بهم دينَه، وأعاد بجهادِهم وجهادِ إخوانِهم أسودِ الإسلامِ في كلِ مكانٍ الخلافةَ على منهاجِ النبوةِ، التي تقومُ على التحاكمِ للشريعةِ التي تسري على القويِ والضعيفِ والأميرِ والمأمورِ، وتقومُ على الشورى والرضا وحفظِ حرماتِ المسلمين والوفاءِ بالعهودِ والصدقِ والتمسكِ بالعقيدةِ الصافيةِ بعيدًا عن تفريطِ المتنازلين وإفراطِ الغالين، وبعيدًا عن تسخيرِ التكفيرِ للتفجيرِ للتطهيرِ لطريقِ مطامعِ السلطةِ ونهمِ الملكِ والتسلطِ، فحيا اللهُ أسودَ النصرةِ، الذين بادلوا براهباتٍ معلولا مئةً واثنتين وخمسين أسيرةً من أخواتِنا، منهن أمٌ وأربعةُ أطفالٍ، كن في سجونِ المجرمِ بشارٍ، وحيا اللهُ أسودَ جبهةِ النصرةِ، الذين يطالبون الآن بالإفراجِ عن أخواتِنا الأسيراتِ لدى الحكومةِ اللبنانيةِ، فجزاهم اللهُ عن الإسلامِ والمسلمين خيرَ الجزاءِ، ووفقهم اللهُ للإفراجِ عن أسرى المسلمين وأسيراتِهم. فقد ضربوا قدوةً طيبةً تحتذى ومثلًا يقتفى، أسألُ اللهَ أن يرزقَهم الإخلاصَ في القولِ والعملِ، ويتقبلَ منهم، ويمكنَ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم.

كما أذكرُ إخوانَنا المجاهدين والمسلمين في كلِ مكانٍ بإخوانِنا الأسرى لدى أمريكا، وعلى رأسِهم شيخُنا وقدوتُنا الأسدُ المقيدُ والليثُ المصفدُ أستاذُنا الشيخُ عمرُ عبدُ الرحمنِ حفظه اللهُ، وعجل بتفريجِ كربِه، ذلك الأسدُ الهصورُ الذي وقف أمامَ القاضي -والنيابةُ تطالبُ بإعدامِه- فلم يتزعزعْ ولم يتنازلْ، ولم يتراجعْ، وصاح فيه بصوتِه الجهوريِ الذي كان يهُزُ القاعةَ هزًا، ويهُزُ قبلها عروشَ الطواغيتِ: "أيها المستشارُ رئيسُ محكمةِ أمنِ الدولةِ العليا: لقد أُقيمتِ الحجةُ، وظهر الحقُ، وبان الصبحُ لذي عينين، فعليك أن تحكمَ بشريعةِ اللهِ، وأن تطبقَ أحكامَ اللهِ، فإنك إن لم تفعلْ فأنت الكافرُ الظالمُ الفاسقُ".

وأذكرُهم بأخينا خالدٍ شيخ محمد -فك اللهُ أسره- مديرِ الغزواتِ الاستشهاديةِ التاريخيةِ على البنتاجون وبرجي التجارةِ وبنسلفانيا.

وأذكرُهم بإخوانِنا الأسرى لدى الصفويين الرافضةِ، وسائرِ أسرانا لدى أنظمةِ الطواغيتِ في أفغانستانَ وجزيرةِ العربِ وروسيا ومغربِ الإسلامِ والشامِ والعراقِ والصومالِ وفي كلِ مكانٍ.

فيا إخوةَ الجهادِ والإسلامِ لا سبيلَ لتحريرِ أخواتِنا وإخوانِنا الأسرى إلا بالقوةِ، فاستعينوا باللهِ ولا تعجزوا.

وأكتفي بهذا القدرِ، وألقاكم في الحلقةِ القادمةِ إن شاء اللهُ.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِ العالمين، وصلى اللهُ علي سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلم.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتِه.

الحلقة الثانية

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وآلهِ وصحبِهِ ومن والاهُ

أيها الإخوةُ المسلمونَ في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.. وبعدُ:

فهذه هي الحلقةُ الثانيةُ من حلقاتِ (الربيعِ الإسلامي)، وهي السلسلةُ التي أودُ أن أتحدثَ لكم فيها عن انتصارِ الإسلامِ المقبلِ بإذنِ اللهِ، فإن الأمةَ المسلمةَ في بحثِها عن الخلاصِ من الذلِ والهوانِ والهزيمةِ والتبعيةِ والانحطاطِ الخلقي والتفسخِ الاجتماعي والفسادِ السياسي والتدهورِ الاقتصادي قد اكتشفت أن السرابَ الذي خُدع به البعضُ باسمِ الربيعِ العربي قد أعادها لهاويةِ الظلمِ والفسادِ مرةً أخرى، وبصورةٍ أشدُ وأقسى، وانتهى لانتصارِ قوى الشرِ التي تمنتِ الأمةُ إزالتَها، واكتشفتِ الأمةُ أن طريقَ العلمانيةِ وحاكميةِ الجماهيرِ واستبدادِ الهوى والدولةِ الوطنيةِ والرابطةِ القوميةِ – الذي دفعتها فيه العديدُ من الحركاتِ المنتسبةِ للعملِ الإسلامي– لم يوصلْها إلا لخسارةِ الدينِ والدنيا.

ولعله اتضح الآن للأمةِ أن طريقَ المجاهدين والدعاةِ المخلصين –الذين نصحوها وحذروها بأن طريقَ الخلاصِ هو طريقُ الدعوةِ والجهادِ، لعله تبين لها أنه الطريقُ الصحيحُ الذي دلت عليه نصوصُ الكتابِ والسنةِ الصحيحةِ وبراهينُ الواقعِ والتاريخِ الصريحةِ.

ولذا فعلى المجاهدين الصادقين والدعاةِ المخلصين أن يبينوا للأمةِ هذه القضيةَ أوضحَ بيانٍ، ويوضحوها لها بأجلى إظهارٍ وأتمِ تجليةٍ، حتى تهتديَ إلى خلاصِها على بينةٍ ونورٍ من كتابِ ربِها وسنةِ نبيِها صلى اللهُ عليه وسلم.

وأحسبُ أن هناك قضيتين أخريين على المجاهدين الصادقين والدعاةِ المخلصين أن يبينوهما للأمةِ:

الأولى: أن الحركاتِ الجهاديةِ الدعويةِ التي تجاهدُ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، لا تسعى لتكفيرِ عوامِ الأمةِ والبحثِ عن إخراجِهم من الملةِ بأيةِ شبهةٍ وكثيرًا بأدنى شبهةٍ، وربما بعكسِ الشبهةِ، بل وأحيانًا بالطاعةِ والقربى.

ثم **القضيةُ الثانيةُ**: أن الصحوةَ الجهاديةَ تسعى لإقامةِ خلافةٍ راشدةٍ على منهاجِ النبوةِ، ولا تسعى لإعادةِ الملكِ العضوضِ، الذي وصل للحكمِ عبر بحارٍ من دماءِ المسلمين وتلالٍ من جماجِمِهم وأشلائِهم، أي بعبارةٍ أوضح؛ إننا نريدُ حكمَ الخلفاءِ الراشدين، الذين أمرنا النبيُ –صلى اللهُ عليه وسلم– بأن نَعَضَ على سنتِهم بالنواجذِ، فقال صلى اللهُ عليه وسلم: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"[1].

نريدُ الحكمَ الذي يسيرُ على منهجِ الخلفاءِ الراشدين –رضي اللهُ عنهم– الذين تُوفي النبيُ –صلى اللهُ عليه وسلم– وهو عنهم راض، لا الحكمَ الذي يهتدي بالحجاجِ بن يوسُفَ وأبي مسلمٍ الخراساني، لا نريدُ الحكمَ الذي يقول

---

[1] قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح". مسند أحمد بن حنبل– مسند العرباض بن سارية– حديث رقم: 17185 ج: 4 ص: 126.

أصحابُه وهم يلوحون بسيوفِهم: "هذا أميرُ المؤمنين، فإن مات فهذا، فمن أبى فهذا". ولا الذي يقولُ أصحابُه: "إنه من نازعنا عروةَ هذا القميصِ أجزرناه خبيءَ هذا الغمدِ". أو الذي يقولُ بطلُه: "إن الحزمَ والعزمَ سلباني سوطي وأبدلاني به سيفي فقائمُه في يدي ونِجَادُه في عنقي وذُبابُه قِلادةٌ لمن عصاني". ولا الذي يقولُ زاعمُه: "أخذناها بحدِ السيفِ قهرًا، بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ".

على الدعاةِ الصادقين أن يبينوا للأمةِ أن الحكمَ الذي ينبغي الوصولُ له هو حكمُ الشريعةِ التي أمرتنا بالشورى، وجعلت للأمةِ حق اختيارِ حكامِها ومحاسبتِهم، وعلى الدعاةِ الصادقين أن يبينوا للأمةِ خطأَ دعوتي الإفراطِ والتفريطِ.

فإحداهما دعوةُ بعضِ الحركاتِ المنتسبةِ للإسلامِ مثلِ تيارِ الإخوانِ المسلمين وتيارِ السلفيةِ الخادمِ للسيسي، الذين يروجون لمنهجِ الوصولِ للشريعةِ عبر تحكيمِ غيرِ الشريعةِ.

والدعوةُ الأخرى دعوةُ من يدعو لإقامةِ الخلافةِ الإسلاميةِ ببيعةٍ سريةٍ يعقِدُها مجاهيلُ لرجلٍ لم تختره الأمةُ ولم ترضَه، ثم يفاجئونها بأنه قد جاءك خليفةٌ من حيث لا تدرين ولا تحتسبين، عليك أن تطيعيه، وإلا فجزاءُ من يخالفُه فلقُ رأسِه بالرصاصِ وإخراجُ ما فيه كائنًا من كان ولا كرامةَ، لأن المجاهيلَ الذين فرضوا أنفسَهم على الأمةِ قد وصلوا لتلك الخلافةِ مغالبةً وغصبًا بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ. وأن كلَ دورِ الأمةِ وأهلِ حلِها وعقدِها وأهلِ الجهادِ والدعوةِ والفضلِ فيها أن يتابعوا وسائلَ الإعلامِ ليعلموا من هو الخليفةُ؟ وبماذا يأمرُهم؟ ومن ولاه عليهم؟ ومن لم يتابعْ وسائلَ الإعلامِ فلا يلومن إلا نفسَه.

على الدعاةِ الصادقين أن يبينوا ما هي خلافةُ النبوةِ بيانًا واضحًا، وما الفرقُ بينها وبين الملكِ العضوضِ الذي حذر منه النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم، حيث قال: "أولُ من يغيرُ سنتي رجلٌ من بني أميةَ". حسنه الشيخُ الألبانيُ رحمه اللهُ، وقال: "ولعل المرادَ بالحديثِ تغييرُ نظامِ اختيارِ الخليفةِ، وجعلُه وراثةً"[2]. فجعل النبيُ –صلى اللهُ عليه وسلم– من سلب الخلافةَ بالغصبِ والمغالبةِ مغيرًا لسنتِه، فكيف يزعمُ اليومَ من يفتخرُ بأنه أخذها مغالبةً وغصبًا بأنه على منهاجِ النبوةِ؟

إن الغلبةَ والغصبَ هما سمةُ الملكِ العضوضِ، الذي كان سببًا في سقوطِ الخلافةِ وانهيارِها وانحدارِها ثم هزيمةِ الأمةِ المسلمةِ.

وسأتناولُ في الحلقةِ القادمةِ –إن شاء اللهُ– بعضَ المعالمِ الأساسيةِ لخلافةِ النبوةِ.

لا بد أن نعلمَ لماذا سقطتِ الخلافةُ ولماذا انحدرت.. ولماذا انهزمت؟

إننا لم نستيقظْ من النومِ فجأةً لنجدَ الخلافةَ وقد سقطت تحت ضرباتِ جيوشِ الحلفاءِ في الحربِ العالميةِ الأولى، ولكنها مفاسدُ الملكِ العضوضِ، الذي نخر في عظامِ الأمةِ حتى انهارت، ولولا أهلُ الخيرِ في هذه الأمةِ من العلماءِ والربانيين والمجاهدين والصالحين، لانهارت تلك الأمةُ سريعًا، وما استطاعت أن تصمدَ أربعةَ عشرَ قرنًا.

---

[2] السلسلة الصحيحة ج: 4 ص: 248.

لقد كانتِ الخلافةُ تواجهُ قوىً عظمى أضعفُ من القوى العظمى الإجراميةِ اليومَ.

ولكننا اليومَ نواجهُ أشدَ حملةٍ صليبيةٍ في التاريخِ، والقوى التي نواجهُها هي أكثرُ منا تفوقًا بآلافِ المراتِ, كما أن الأمةَ اليومَ أضعفُ علميًا وإيمانيًا وجهاديًا منها في القرونِ الأولى، فإن لم ننتبهْ لعواملِ الإفسادِ التي أسقطتِ الخلافةُ من قبل، فسيكونُ سقوطُنا -هذه المرةُ- أسرعَ وأبشعَ وأقسى.

لقد سقطتِ الخلافةُ لانحدارِها من الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ إلى الملكِ العضوضِ، الذي يقومُ على سلبِ حقِ المسلمين في الشورى والاستبدادِ والظلمِ والتعدي على الحرماتِ وتحريمِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

قال النبي صلى اللهُ عليه وسلم: "لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ، عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ"[3].

فتبشيرًا بالخلافةِ على منهاجِ النبوةِ وتنفيرًا من الجورِ والفسادِ والإفسادِ أودُ أن أطوفَ مع إخواني الكرامِ في هذه السلسلةِ على بلادِ الإسلامِ، لأبشرَهم بأن الربيعَ الحقيقيَ هو ربيعُ الإسلامِ المنتصرُ القادمُ لا محالةَ بإذنِ اللهِ.

وأن الأمةَ المسلمةَ تمرُ بصحوةٍ جهاديةٍ عارمةٍ لا تتركُ منها موقعًا إلا أحيته، وبثت فيه روحًا جديدةً وحياةً أخرى، تمحو وتنسخُ عهدًا من الذلِ والخنوعِ والاستسلامِ والتبعيةِ، وتُنْشِئُ وتمهدُ لعهدٍ من حاكميةِ الشريعةِ والعدلِ والشورى وتحريرِ ديارِ المسلمين بإذنِ اللهِ.

ولا ريبَ أن الأممَ كالناسِ لا بد لها في نموِها ونقاهتِها وتعافيها من مشاكلَ كمشاكلِ الإنسانِ وهو ينتقلُ من مرحلةٍ لمرحلةٍ، فرأينا في هذه المرحلةِ تجاربَ فاشلةً مشوهةً كتجربةِ انتكاسةِ الجماعةِ الإسلاميةِ المسلحةِ في الجزائرِ وتجربةِ التقاتلِ الداخلي بين المجاهدين عقبَ انسحابِ الروسِ من أفغانستانَ، وتجربةِ فتنةِ الاقتتالِ بين المجاهدين في الشامِ، وما تمخض عنه من دعوى الخلافةِ بغيرِ مشورةِ المسلمين، ولكن الخطَ العامَ للأمةِ المسلمةِ في نموٍ وتصاعدٍ بإذنِ اللهِ.

وبعد كلِ كبوةٍ تقومُ الأمةُ أشدَ عودًا وأصلبَ عزيمةً وأصحَ وجهةً، فبعد القتالِ الداخلي في أفغانستانَ جاءتِ الإمارةُ الإسلاميةُ، وبعد انتكاسةِ الجماعةِ الإسلاميةِ المسلحةِ جاءتِ الجماعةُ السلفيةُ للدعوةِ والقتالِ، التي انضمت لركبِ الجهادِ المباركِ والوحدةِ الميمونةِ، فأصبحت تنظيمَ القاعدةِ ببلادِ المغربِ الإسلامي.

وبعد الفتنةِ في الشامِ سيقومُ الجهادُ الشاميُ أصلبَ عودًا وأصحَ وجهةً وأشدَ عزيمةً بإذنِ اللهِ، ليقيمَ دولةً إسلاميةً تنشرُ العدلَ، وتبسطُ الشورى، ويتفقُ عليها المجاهدون والمسلمون بمشيئةِ اللهِ.

***

ولكني قبل التعرضِ لبلادِ الربيعِ الإسلاميِ، فلا يسعُني أن أبدأَ الحديثَ -دون التوقفِ عند الحملةِ الصليبيةِ الصفويةِ العلمانيةِ، التي تُشنُ اليومَ على العراقِ والشامِ.

---

[3] صححه الشيخ الألباني رحمه الله. [الجامع الصغير وزيادته- حديث رقم: 9206 ج: 1 ص: 921].

***

إخواني الكرامَ:

إن الحملةَ الصليبيةَ الشرسةَ التي تُشن على العراقِ والشامِ اليومَ هي جزءٌ من حملةٍ صليبيةٍ شرسةٍ تمتدُ من الفلبينِ حتى غربِ إفريقيا ومن الشيشانِ حتى الصومالِ وإفريقيا الوسطى، ومن تركستانَ الشرقيةِ حتى وزيرستانَ وأفغانستانَ.

إنها الحربُ على الإسلامِ باسمِ الحربِ على الإرهابِ.

وحتى الحملةِ الصليبيةِ التي تدورُ رحاها اليومَ في الشامِ والعراقِ، ليس المقصودُ منها جماعةً بعينِها، ولكن المقصودَ الحقيقيَ هو الانتفاضةُ الجهاديةُ للأمةِ المسلمةِ في وجهِ أعدائِها.

بهذا المفهومِ الشاملِ الواعي يجبُ أن نفهمَ هذه الحملةَ، وبه يجبُ أن نتصدى لها.

إنها حملةٌ تخطى فيها الأعداءُ خلافاتِهم ضدنا، فعلينا أن نصطفَ صفًا واحدًا في مواجهتِها.

وأودُ أن أطرحَ بين يدي إخواني دعوةً لتعاونِ المجاهدين في العراقِ والشامِ، ولكني قبلها أودُ أن أوضحَ أمرًا هامًا، ألا وهو أن عدمَ اعترافِنا بادعاءِ البغداديِ للخلافةِ، ورؤيتَنا لها أنها ليست خلافةً على منهاجِ النبوةِ، لا يعني أننا ننكرُ كلَ إنجازٍ له ولإخوانِه.

فإذا أقاموا المحاكمَ الشرعيةَ فيما بينهم فنحن نؤيدُهم.

ولكن إذا تهربوا من التحاكمِ للشريعةِ فيما بينهم وبين غيرِهم من الجماعاتِ بشتى الحيلِ فنحن ضدهم.

وإذا قتلوا أكابرَ المجرمين فنحن معهم.

ولكن إذا قالوا لم نؤمرْ ولم نُستأمرْ في قتلِ أبي خالدٍ السوريِ –رحمه اللهُ– فنحن ضدهم.

وإذا قاتلوا الصليبيين والرافضةَ والعلمانيين فنحن معهم.

ولكن إذا استولَوا على مقراتِ المجاهدين وفجروها واستولَوا على أموالِ الهيئاتِ الشرعيةِ فنحن ضدهم.

وإذا نشروا المدارسَ وحلقاتِ العلمِ وهيئاتِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ فنحن معهم.

ولكن إذا افترَوا على المجاهدين وعلينا بالكذبِ والزورِ والبهتانِ، وزعموا أننا علمانيون وإخوانٌ ونطبقُ سياسةَ سايكس وبيكو، وأننا مثلُ الزانيةِ التي تُخفي حملَها وهي في الشهرِ التاسعِ فنحن ضدهم.

وإذا فكوا أسارى المسلمين وأخرجوهم من السجونِ فنحن معهم.

ولكن إذا قتلوا أسيرًا كافرًا أسلم فنحن ضدهم.

وإذا أشادوا بأميرِ المؤمنين الملا محمدٍ عمر حفظه اللهُ، وهتفوا باسمِه قبلًا، فنحن معهم.

ولكن إذا نكثوا بيعتَهم للقاعدةِ ولأميرِ المؤمنين الملا محمد عمر حفظه اللهُ، وكذَبوا على أبي حمزةَ المهاجرِ –رحمه اللهُ– ثم كذبوا على أنفسِهم وعلى إقراراتِهم الموثقةِ، وزعموا أن لم تكن ثمةَ بيعةٌ، فنحن ضدهم.

وإذا أيدوا وساعدوا إخوانَهم المسلمين في أي مكانٍ فنحن معهم.

ولكن إذا سعَوا لشقِ صفِ الجماعاتِ المجاهدةِ بدعوى الخلافةِ، التي لم تثبتْ فنحن ضدهم.

وإذا دعَوا لإحياءِ الخلافةِ فنحن معهم.

ولكن إن أرادوا أن يفرضوا على المسلمين خلافةً بلا شورى بل بالقهرِ وبتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ فنحن ضدهم.

وإن ظلمونا أنصفناهم.

وإن عصَوا الله فينا أطعناه –بعونه– فيهم.

ورغم هذه الأخطاءِ الجسيمةِ، فإني أدعو جميعَ المجاهدين في الشامِ والعراق لأن يتعاونوا وينسقوا جهودَهم ليقفوا صفًا واحدًا في مواجهةِ الصليبيين والعلمانيين والنصيريين والصفويين، حتى وإن كانوا لا يعترفون بشرعيةِ دولةِ البغداديِ ومجموعتِه ناهيك عن خلافتِهم.

لأن الأمرَ أكبرُ من عدم الاعتراف بشرعية دولتهم أو من زعمِهم إقامةَ الخلافةِ.

إنه أمرُ أمةٍ تتعرضُ لحملةٍ صليبيةٍ شرسةٍ يجبُ أن نهبَ لدفعِ صائلِها.

وأنا هنا أؤكدُ تأكيدًا لا لبسَ فيه ولا شبهةَ أنه إذا كان القتالُ بين الصليبيين والصفويين والعلمانيين وبين أيةِ طائفة من المسلمين والمجاهدين بما فيهم طائفةُ أبي بكرٍ البغداديِ ومن معه، فإن خيارَنا الأوحدَ هو الوقوفُ مع المسلمين المجاهدين، حتى وإن ظلمونا وافترَوا علينا ونقضوا العهودَ وسلبوا الأمةَ والمجاهدين حقَهم في الشورى واختيارِ خليفتِهم، وتهربوا عند التخاصمِ من التحاكمِ للشريعةِ.

إننا دعونا وندعو –بفضلِ اللهِ– دائمًا إلى نصرةِ المسلمين المجاهدين في كلِ مكانٍ، وإننا وإذ ندعو للتعاونِ مع أبي بكرٍ البغداديِ وإخوانِه –ضد الحملةِ الصليبيةِ الصفوية العلمانية النصيرية– لا ندعو لذلك لأنه خليفةُ المسلمين ولا لإنه ومن معه يمثلون دولةَ الخلافةِ، فتلك دعوى لم تثبتْ، ولكننا ندعو للتعاون معهم ضد أعداءِ الإسلامِ دفعًا لصيالِ أعداءِ الإسلامِ على المسلمين، وحينما ندعو لنصرةِ إخوانِنا في جبهةِ النصرةِ، لا ندعو لذلك لأنهم إخوانُنا وشركاؤنا في جماعةِ قاعدةِ الجهادِ، الذين نعتزُ بهم، بل ندعو لذلك لأنهم من المسلمين والمجاهدين، وحينما ندعو لنصرةِ جماعاتِ المجاهدين في الشامِ والعراقِ لا ندعو لذلك لموافقةٍ لنا أو مخالفةٍ، بل ندعو له لأنه الواجبُ العينيُ الذي فرضه الإسلامُ علينا، يقول الحق سبحانه: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

إن خيارَنا واضحٌ وساطعٌ كشعاعِ الشمسِ وظاهرٌ وفاصلٌ كحدِ السيفِ؛ إننا مع كلِ مجاهدٍ في العراقِ والشامِ، بل ومع كلِ مسلمٍ مجاهدٍ من تركستانَ الشرقيةِ حتى مالي، ومن قممِ القوقازِ حتى أحراشِ إفريقيا، ومن إندونيسيا حتى نيجيريا، نحن معهم ضد أعداءِ الإسلامِ من الصليبيين والعلمانيين والرافضةِ الصفويين والروسِ الملحدين والهندوسِ المشركين والصينيين الكافرين، ندعمُهم ونؤيدُهم وننصرُهم، سواءً أحسنوا إلينا أم أسأوا، أنصفونا أم ظلمونا.

ولكننا لسنا معهم إذا تهربوا من التحاكمِ للشريعةِ، أو كفروا المسلمين أو افترَوا عليهم، أو نكثوا عهودَهم، أو سعَوا في شقِ صفِهم، أو استباحوا حرماتِهم.

كما أننا نحسنُ الظنَ بالأكثريةِ العظمى من المجاهدين في الشامِ والعراقِ وسائرِ بلادِ المسلمين، ونحسبُ أنهم نفروا نصرةً لدينِهم وسعيًا في تحكيمِ شريعةِ ربِهم وإعادةِ خلافةٍ على منهاجِ النبوةِ، أسألُ اللهَ أن يتقبلَ صالحَ عملِهم ويغفرَ لهم ويرزقَهم عزَ الدنيا وفوزَ الآخرة، كما نحسبُ أن الفسادَ في تلك الحركاتِ معظمُه أو أكثرُه في قلةٍ قليلةٍ متحكمةٍ خلطت عملًا صالحًا وآخرَ سيئًا. أسألُ اللهَ أن يغفرَ لنا ولهم، ويهديَنا ويهديَهم، ويجمعَ بيننا وبينهم على ما يحبُ ويرضى.

***

وبعد هذا التوضيحِ أودُ أن أنتقلَ من الدعوةِ العامةِ إلى إجراءاتٍ عمليةٍ أدعو لها إخواني المسلمين والمجاهدين لنصرةِ المسلمين في الشامِ والعراقِ ضد الحملةِ الصليبيةِ الصفويةِ العلمانيةِ.

وأقسمُ هذه الإجراءاتِ التي أدعو لها لإجراءاتٍ خارجَ إقليمي الشامِ والعراقِ، وأخرى داخليةٍ:

فأما الإجراءاتُ الخارجيةُ فإني أدعو كلَ مسلمٍ يستطيعُ أن ينكيَ في دولِ التحالفِ الصليبيِ أن لا يترددَ في ذلك. لماذا؟

لأن دولَ الغربِ الصليبيِ هي التي تقودُ هذه الحملةَ، والباقون يأتمرون بأمرِها، فإذا ضربنا الرأسَ سقط الجناحان والجسمُ، وإذا وصلتِ الحربُ لعقرِ دارِ أكابرِ المجرمين، لأوقفوا الحربَ وأعادوا مراجعةَ سياساتِهم بإذنِ اللهِ.

فأرى أننا يجبُ أن نركزَ الآن على نقلِ الحربِ لعقرِ دارِ ومدنِ ومرافقِ الغربِ الصليبيِ وعلى رأسِه أمريكا.

يجبُ أن يعلموا أنهم كما يَقْصِفون يُقْصَفون، وكما يَقْتُلون يُقْتلون، وكما يَجْرَحُون يُجْرَحُون، وكما يُدمِرون ويَحرِقون ويُبيدون، يُدمرَون ويُحرَقون ويبادون.

يجب أن يعلموا أن الحربَ قسمةٌ مشتركةٌ، وأن الجزاءَ من جنسِ العملِ.

وأحسبُ أن العديدَ من الشبابِ المسلمِ يتلهفون للنفيرِ لساحاتِ الجهادِ، ويتألمون من صورِ القتلِ والدمارِ في أفغانستانَ ووزيرستانَ والعراقِ والشامِ وفِلسطينَ واليمنِ والصومالِ وكشميرَ والشيشانِ وسائرِ ديارِ المسلمين.

وأحسبُ أن الكثيرَ منهم يتمنى عمليةً استشهاديةً لنصرةِ الدينِ، فلماذا لا يقومُ بها في عقرِ دارِ الغربِ الصليبيِ، وفي مدنِه ومرافقِه ومراكزِه الاقتصاديةِ والصناعيةِ والماليةِ؟

إن العمليةَ الاستشهاديةَ لا تحتاجُ دائمًا لمتفجراتٍ، وحتى إن احتاجت لمتفجراتٍ فليس بالضرورةِ أن تكونَ متفجراتٍ تقليديةٍ، وهناك وسائلُ عديدةٌ غيرُ المتفجراتِ يمكنُ التفكيرُ فيها وتجربتُها والبحثُ عنها وابتكارُها.

لقد ضرب الإخوةُ الأبطالُ رمزي يوسفُ وإخوانُه ومحمدٌ عطا ونسورُه الاستشهاديةُ ومحمدٌ صديقُ خان وشهزاد تنوير ونضالُ حسن وعمرُ الفاروق والأخوان تامرلان وجوهر تسارنايف ومحمدُ مراح ثم أخيرًا فرسانُ غزوةِ باريسَ

الصناديدُ أمثلةً راقيةً في هذا المضمارِ، فلماذا لا نواصلُ في هذه الجبهةِ الخطيرةِ؟ ونزيدُها حتى تكونَ جبهاتٍ وجبهاتٍ.

قد لا يحتاجُ الأمرُ منك للنفيرِ لساحاتِ الجهادِ، فقد تكونُ ساحةُ الجهادِ على بعد خُطواتٍ منك، بل قد يكونُ السعيُ في النفيرِ لساحاتِ الجهادِ يكْشِفُك لأجهزةِ الأمنِ الصليبيةِ، فاستعنْ باللهِ ولا تعجزْ، ولعل في شريطِ مؤسسةِ السحابِ (فقاتلْ في سبيلِ اللهِ لا تكلفُ إلا نفسَك) وفي أعدادِ مجلةِ (حرض) أو (إنسباير)، التي تصدرُها مؤسسةُ الملاحمِ من تنظيمِ القاعدةِ في جزيرةِ العربِ إثراءً لأفكارِ هذه الوسائلِ.

أيها المجاهدُ المسلمُ في بلادِ الغربِ الصليبي تعلمْ ما هي الضوابطُ الشرعيةُ في القتالِ، ثم ابحثْ عن أهدافِك التي تجيزُ الشريعةُ ضربَها، وفتشْ عن الوسائلِ المناسبةِ، وابذلْ وسعَك في الإعداد، وتكتمْ أمرَك عن أقربِ الناسِ إليك، واحذرِ من الجواسيسِ المندسين وسطَ المسلمين، ثم اعقدْ عزمَك، وتقدمْ منصورًا بإذنِ اللهِ.

وهنا يجبُ عليَّ أن أحييَ إخوانيَ المسلمين في أكنافِ بيتِ المقدسِ، الذين يُنكون في الغزاةِ الصهاينةِ بأبسطِ الأسلحةِ، فقد قاموا بالفريضةِ الواجبةِ، وضربوا مثلًا وقدوةً لأمتِهم، على رغمِ استضعافِهم وقلةِ حيلتِهم.

***

وأما الإجراءاتُ داخلَ إقليمي العراقِ والشامِ:

فأدعو جميعَ المجاهدين في إقليمي العراقِ والشامِ لأن يتعاونوا ويساعدُ بعضُهم بعضًا، حتى يصيرَ الإقليمان ساحةَ معركةٍ واحدةٍ، وميدانَ جهادٍ واحدٍ، يتحركُ فيه المجاهدون بحريةٍ ويناورون فيه بقواتِهم، ويخزنون فيه معداتِهم وآلياتِهم، ويداوون فيه جرحاهم، ويؤون أسرَهم، ويحصلون منه على مددِهم ومؤنتِهم وذخيرتِهم.

وبهذا تتعقدُ مهمةُ الحربِ على التحالفِ الصليبيِ الصهيونيِ العلمانيِ.

ولكن لكي نكونَ واقعيين ولا نحلقَ في أجواءِ العاطفةِ بعيدًا عن ميدانِ الواقعِ، فيجبُ أن نعترفَ أن تلك الأمنيةُ يصعبُ تحقيقُها حاليًا بسببِ أزمةِ الثقةِ الشديدةِ، التي استشرت بين المجاهدين، بسببِ الفتنةِ التي وقعت في الشامِ والعراقِ، ونتج عنها سبعةُ آلافِ قتيلٍ وأضعافُهم من الجرحى، وتمادت حتى وصلت لإعلانِ خلافةٍ من قلةٍ مجهولةٍ لخليفةٍ لم ترضَ به الأكثريةُ الكاثرةُ من المجاهدين فضلًا عن غيرِهم من المسلمين، وزادتِ الأمرَ تعقيدًا دعوةُ البعضِ لوجوبِ مبايعةِ الخليفةِ المزعومِ لانتهاءِ شرعيةِ كلِ الجماعاتِ والإماراتِ، وتحريضُهم لأتباعِهم على فلقِ رأسِ كلِ مخالفٍ بالرصاصِ وإخراجِ ما فيه.

فهذا التاريخُ المؤلمُ قد يعوقُ هذا التعاونَ بسببِ التجاربِ المريرةِ التي وقعت بين المجاهدين، والتي قد تجعلُ البعضَ منهم يتخوفُ من إدخالِ قواتِ أو معداتِ طرفٍ آخرَ لمناطقِه.

فلا بد إذن من إجراءاتٍ عاجلةٍ لإعادةِ الثقةِ بين المجاهدين، حتى يتسنى لهم تحقيقُ التعاونِ التامِ في جهادِ الحملةِ الصليبيةِ الصفويةِ العلمانيةِ على العراقِ والشامِ.

فأولُ هذه الإجراءاتِ التي أدعو المجاهدين في إقليمي العراقِ والشامِ لها هي:

إيقافُ القتالِ فورًا بين جماعاتِ المجاهدين.

وثاني هذه الإجراءاتِ: إيقافُ الدعواتِ الداعيةِ لقتلِ المخالفِ وفلقِ رأسِه بالرصاصِ بدعوى شقِ الصفِ وما أشبهها من الخرافاتِ المفرقةِ لصفِ المسلمين، في وقتٍ هم أحوجُ الناسِ فيه لتوحيدِ جهودِهم وحشدِ كلِ طاقاتِهم، في وجهِ عدوٍ مجتمعٍ عليهم من مشارقِ الأرضِ ومغاربِها.

إن إثارةَ الفتنةِ والخلافِ بين المجاهدين في الشامِ والعراقِ كانت ضربةً عنيفةً للجهادِ فيهما، ولا شك أن هذا يصبُ تمامًا في مصلحةِ أعداءِ الإسلامِ.

إخواني المجاهدين في كلِ مكانٍ. إن الحربَ الصليبيةَ التي تُشنُ علينا طويلةٌ وممتدةٌ، ونحن بحاجةٍ لأن نخوضَها متحدين، لا أن نبدأَها متحاربين متخالفين.

لقد كنا من قبلُ متحدين بفضلِ اللهِ، فقد كانت كلُ الجماعاتِ الجهاديةِ أو أكثرُها إما مبايعةً أو مواليةً للملا محمد عمر حفظه اللهُ ولجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، حتى جاء أبو بكرٍ البغداديُ وإخوانُه، فتهربوا من التحاكمِ للمحكمةِ الشرعيةِ المستقلةِ، فتركوا البابَ مفتوحًا على مصراعيه للفتنةِ، ووأدوا محاولاتِ إطفائِها، ثم كذبوا على أبي حمزةَ المهاجرِ رحمه اللهُ، فزعموا أنه نكث بيعةَ القاعدةِ في وقتِ الشيخِ أسامةَ -رحمه اللهُ- من طرفٍ واحدٍ، وهو كذبٌ محضٌ، ثم كذبوا على أنفسِهم، فأنكروا بيعاتِهم الموثقةَ المكررةَ، مثلَ رسالةِ البغداديِ لي بتاريخِ السابعِ من ذي الحجةِ لعامِ ألفٍ وأربعِمائةٍ وثلاثةٍ وثلاثين، التي بدأها بقولِه بعد البسملةِ والحمدِ والصلاةِ والسلامِ على رسولِ اللهِ:

"إلى **أميرِنا** الشيخِ الدكتورِ أبي محمّدٍ أيمنَ الظّواهريِ حفظه اللهُ، السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه".

ثم قال في ضمنِها:

"شيخَنا المباركَ؛ نودُّ أن نبيّنَ لكم ونعلنَ لجنابِكم أننا **جزءٌ منكم**، وأنّنا منكم ولكم، ونَدينُ اللهَ بأنكم **ولاةُ أمورِنا ولكم علينا حقُّ السّمعِ والطّاعةِ ما حيينا**، وأنَّ نُصحَكم وتذكيرَكم لنا هو حقٌّ لنا عليكم، **وأمرُكُم مُلزمٌ لنا**، ولكن قد تحتاجُ المسائلُ أحيانًا بعضَ التبيينِ لمعايشتِنا واقعَ الأحداثِ في ساحتِنا، فنرجو أن يتّسعَ صدرُكم لسماعِ وجهةِ نظرِنا، **ولكم الأمرُ بعد ذلك وما نحن إلا سهامٌ في كنانتِكم**".

ولكن للأسفِ هذا الذي يدينُ اللهَ به ما حَيَّ، لم يصمدْ ستةَ أشهرٍ.

فأعلن عن ضمِ الشامِ له دون مجردِ إخطارٍ لأميرِه، ثم عصى ومن معه أميرَهم علانيةً وأصروا على أن الشامَ كلَ الشامِ تحت إمارتِهم، وادعوا أنهم اختاروا رضا اللهِ على رضا أميرِهم، بينما لما خالفهم الشيخُ الجولانيُ حفظه اللهُ، ورفع الأمرَ لأميرِهم وصفوه بأسوءِ الأوصافِ، ثم كذبوا على أمرائِهم ومشايخِهم وجماعةِ القاعدةِ فرموها بالتهمِ التي تؤدي

للتكفير، وقالوا إنها وقعت في العلمانيةِ والإخوانيةِ وسياسةِ سايكس بيكو، وأنها تسيرُ مع الأغلبيةِ ويؤيدُها العلمانيون والخونةُ، ثم أمعنوا في السبِ فوصفوها بأنها كالزانيةِ التي تزعمُ عفتَها، بينما هي في الشهرِ التاسعِ، ثم أعلنوا خلافةً فجأةً عقدها مجهولون لمن لا ترضاه الأكثريةُ الساحقةُ من المجاهدين ولا المسلمين، ثم زعموا أن كلَ الجماعاتِ الجهاديةِ قد بَطَلَت شرعيتُها، وعليها أن تحُلَ نفسَها وهي تحتَ القصفِ الشديدِ وفي اشتباكٍ دائمٍ مع العدوِ الصليبيِ، وأن من يخالفُهم فليس له إلا طلقةٌ في رأسِه تخرجُ ما فيه، لأنهم وصلوا لخلافتِهم غصبًا وقهرًا بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ. ثم بعد كلِ هذا زعموا أنهم فعلوا ذلك لتوحيدِ صفِ الأمةِ المتفرقةِ، ثم قال ناطقُهم متألما: لك الله أيتها الدولةُ المظلومةُ! وشرُ البليةِ ما يُضحكُ.

وثالثُ هذه الإجراءاتِ هو: إنشاءُ المحكمةِ الشرعيةِ المستقلةِ، وتأكيدُ سلطتِها ونفوذِها وهيبتِها في إقليمي العراقِ والشامِ على جميعِ المجاهدين.

وبدونِ هذه المحكمةِ الشرعيةِ المستقلةِ، فسيظلُ كلُ تعاونٍ معلقًا في الهواءِ، متطايرًا في مهبِ الريحِ، معَرَّضًا للتلاعبِ من كلِ متلاعبٍ، وللنكثِ والنقضِ من كلِ صاحبِ هوى.

وقد سعى فضيلةُ الشيخِ العالمِ العاملِ أبي محمدٍ المقدسيِ –حفظه اللهُ– لهذا الأمرِ في مبادرتِه، التي أرسلتُ له بتأييدي ودعمي لها، والتي يئِس منها بعد ذلك لأسبابٍ أعلنها، ويعرفُها الجميعُ.

إن هذه المبادرةَ وأمثالَها من الدعواتِ المباركةِ يجبُ أن تُحيا من جديدٍ، وأن تُفَعَّلَ وتطبقَ، والتهربُ منها هو إمعانٌ في شقِ الصفِ وتفتيتِ الجهودِ.

ونحن في جماعةِ قاعدةِ الجهادِ نضعُ ثقتَنا في مشايخِ الجهادِ وعلمائِه الذين أثبتتِ الأيامُ صدقَهم وحَدَبَهم وشفقتَهم على الجهادِ والمجاهدين من أمثالِ أحبابِنا الشيخِ أبي محمدٍ المقدسيِ والشيخِ أبي قتادةَ الفِلسطينيِ حفظهما اللهُ، والشيخِ أبي الوليدِ الفِلسطينيِ والشيخِ محمدٍ الظواهريِ والشيخِ سالمِ مرجانَ والشيخِ أحمدَ عشوش فك اللهُ أسرَهم، والشيخِ هاني السباعيِ والشيخِ طارقِ عبدِ الحليمِ، وأمثالِهم من الدعاةِ الصادقين كما نحسبُهم ولا نزكيهم على اللهِ، ثم شيخِ الطائفةِ المجاهدةِ وأستاذِها ومعلمِها ومربيها الأسدِ المقيدِ والليثِ المصفدِ فضيلةِ الشيخِ عمرَ عبد الرحمن فك اللهُ أسرَه.

هؤلاء هم ثروتُنا ورأسُ مالِنا وذخيرتُنا وكنزُنا الثمينُ في هذا العصرِ، فلمصلحةِ من نشوهُهم وندعي عليهم ونتطاولُ عليهم؟ ومن المستفيدُ من هذا التشويهِ؟ الجوابُ عندي: أن المستفيدَ فئتان: الأولى هي التحالفُ الصليبيُ الصفويُ العلمانيُ، والثانيةُ: فئةُ أصحابِ المطامعِ السياسيةِ، الذين يشوهون ويفترون على كلِ من يقفُ في وجهِ طموحِهم السياسيِ التسلطيِ.

رابعُ هذه الإجراءاتِ هو: السعيُ للعفوِ العامِ.

فأدعو أهلَ الخيرِ وأنصارِ الجهادِ والحريصين على انتصارِ المسلمين في العراقِ والشامِ للسعي بين الجماعاتِ المجاهدةِ -بالتوازي مع قيامِ المحكمةِ الشرعيةِ المستقلةِ ودونِ إبطالٍ لها- للوصولِ للعفوِ العامِ بين جماعاتِ وطوائفِ المجاهدين، لنبدأَ صفحةً جديدةً من التعاونِ ونطوي صفحةَ الماضي وفتنتَه النكراءِ.

دون أن نلغيَ حقَ من أراد أن يتحاكمَ للمحكمةِ الشرعيةِ.

وخامسُ هذه الإجراءاتِ هو: المبادرةُ بالتعاونِ في كلِ مجالٍ ممكنٍ: كعلاجِ الجرحى، وإيواءِ الأسرِ، وتخزينِ المعداتِ، وتوفيرِ المؤنِ والذخائرِ، والعملياتِ المشتركةِ.

هذه مبادرةٌ أطرحُها على فئاتِ المجاهدين في العراقِ والشامِ سعيًا في توحيدِ صفِهم ضد عدوِهم المتوحدِ ضدهم. حتى وإن رفضها البعضُ، أو استخف بها، أو زعم أنه ليس في حاجةٍ إليها.

فيكفيني أني قد بذلتُ ما في وسعي، ونصحتُ لإخواني، قال النبي صلى اللهُ عليه وسلم: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"[4].

وقبل أن أختمَ أتوقفُ عند منظرٍ رأيتُه في شريطٍ يبينُ هجومًا لإحدى الجماعاتِ في الشامِ على هيئةٍ شرعيةٍ لجماعةٍ أخرى، واستوقفني في ختامِ الشريطِ قولُ أحدِ الإخوةِ: واللهِ لنأخذنَّ بالثأرِ.

فأقولُ لهذا الأخِ: يا أخي الأصغرَ الحبيبَ، أو يا ولديَ الحبيبَ، فإن ولدي لو قدر له أن يعيشَ لكان في سنِك أو قريبًا منه، يا ولدي الحبيبَ، ممن تثأرُ؟ تثأرُ من أخيك المجاهدِ الموحدِ، الذي يسعى لتحكيمِ الشريعةِ ولإقامةِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ، تسعى في الثأرِ منه والقذائفُ الصليبيةُ تسقطُ فوق رأسي ورأسِك ورأسِه.

أنا لا أقول إنك ظالمٌ أو مظلومٌ، ولكني أقولُ لك يا ولدي الحبيبَ لو كانت عندك مظلمةٌ لكان عليك أن توجهَها للمحكمةِ الشرعيةِ المستقلةِ، التي نادى وطالب بها وسعى في تكوينِها عمُك العالمُ العاملُ المجاهدُ المرابطُ المربي حبيبُنا الشيخُ أبو محمدٍ المقدسيُ، هذه المحكمةُ طالب بها الشيخُ المقدسيُ -حفظه اللهُ- وأيده فيها أعمامُك مشايخُ الجهادِ، الذين أمضَوا أعمارَهم في الجهادِ وبيانِ التوحيدِ ومقارعةِ الطواغيتِ، وما زالوا -بحمدِ اللهِ- لم يتراجعوا، بل يرفعُ اللهُ قدرَهم من درجةٍ لدرجةٍ.

هذه المحكمةُ الشرعيةُ المستقلةُ طالب بها أعمامُك مشايخُ الجهادِ، حتى لا يثأرَ بعضُنا من بعضٍ، ولا نوجهَ سلاحَنا لصدورِ بعضٍ، بينما القصفُ الصليبيُ لا يفرقُ بين بعضٍ وبعضٍ.

إن عمَك أبا محمدٍ المقدسي وأعمامَك مشايخَ الجهادِ، لم يقصِدوا بهذه المبادرةِ الإضرارَ بأحدٍ، بل أرادوا حقنَ دماءِ المسلمين، وإطفاءَ الفتنةِ فيما بينهم، ليتوجهَ سلاحُ المجاهدين ضد أعدائِهم الصليبيين والصفويين والنصيريين والعلمانيين.

---

[4] صحيح مسلم- كتاب: الإيمان- بَاب: بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ج: 1 ص: 182.

ولدي الحبيب اسألْ نفسَك وليسألْ إخوانُك أنفسَهم، من الذين شهد عليهم الشيخُ أبو محمدٍ المقدسيِ –حفظه اللهُ– بأنهم قد تهربوا من التحاكمِ للشريعةِ؟ وأيهما يسرُ الصليبيين وأيهما يحزنُهما: أن يوجهَ بعضُنا سلاحَه لصدورِ بعضِنا؟ أم نتحاكمَ في مشاكلِنا ومظالمِنا لمحكمةٍ شرعيةٍ مستقلةٍ، ونوجهَ سلاحَنا جميعًا لصدورِ أعداءِ الإسلامِ؟

أسألُ اللهَ أن يجمعَ بيننا على ما يحبُ ويرضى، ويوحدَ صفوفَنا ويؤلفَ بين قلوبِنا ويجمعَنا على أتقى قلبِ رجلٍ منا، ويتقبلَ منا عملَنا، ويجنبَنا الفتنَ والشقاقَ والخلافَ.

ونصيحتي الأخيرةُ لكلِ مجاهدٍ أن يحذرَ من أن يتورطَ في دمٍ حرامٍ، وأن يعلمَ أن أمرَ أميرِه لا يعفيه من الإثمِ، وأنه سيلقى اللهَ وحدَه، ولن يجدَ أميرَه ليدافعَ عنه، فأميرُه يومَئذٍ سيكونُ أحوجَ الناسِ لمن يدافعُ عنه.

وليعلمْ كلُ مجاهدٍ أنه خرج من بيتِه لقتالِ أعداءِ الإسلامِ، فلا يتورطن في غيرِ ذلك من أطماعِ الأمراءِ السياسيةِ، وإذا أمره أميرُه بقتلِ مسلمٍ، أو بقتلِ أسيرٍ كافرٍ أسلم، أو بقتلِ من في قتلِه شبهةٌ، كأن يقالَ له في حقِ من ثبت له الإسلامُ: هذا قد ارتد، أو أصبح من الصحواتِ، أو يوالي المرتدين، أو يتعاونُ معهم، إلى غيرِ ذلك من الدعاوى، فلا يقبلْها بمجردِ سماعِها، وليطالبن بالدليلِ القاطعِ الخالي من الشبهةِ، فقد كَثُرَتِ الفتنُ وصراعُ الأمراءِ والجماعاتِ من حولِكم، فلا بد من التثبتِ، ولا يُقْدِمَن على سفكِ دمٍ إلا إذا تيقن من جوازِ ذلك شرعًا، فإن وجد في نفسِه شكًا أو شبهةً فلا يطيعن أميرَه، وليؤثرن السلامةَ، فإن إثمَ قتلِ المسلمِ عظيمٌ. وليتذكرْ قولَ الحقِ سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

وليعلمِ المجاهدُ أنه نفر ليحفظَ حرماتِ المسلمين، لا ليعتديَ عليها، فإذا أمره أميرُه بالتعدي على مجموعةٍ جهاديةٍ أو أخذِ مالِها أو الاستيلاءِ على مقراتِها، أو ما تحت يدِها، من أموالِ المسلمين، بحجةِ أنهم بغاةٌ أو أن أميرَه وجماعتَه أحقُ بهذا المالِ، أو أنهم هم أصحابُ الولايةِ ومن حقِهم أن يأخذوا أموالَ من خالفهم، فكلُ هذه دعاوى لا تبيحُ بمجردِها أموالَ المسلمين وعُدتَهم وعتادَهم، وليتذكرْ حديثَ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم: " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ"[5].

أسألُ اللهَ أن يجمعَ شملَ المجاهدين والمسلمين ويوحدَ صفَهم، ليقيموا خلافةَ النبوةِ على منهجِ الخلفاءِ الراشدين، بالعدلِ والشورى والخضوعِ للشريعةِ.

***

وبعد الشامِ والعراقِ أودُ أن أنتقلَ للجريمةِ التي تتمُ في صمتٍ ضد إخوانِنا في وزيرستانَ.

---

[5] صحيح مسلم– كتاب: البر والصلة والآداب– بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ– حديث رقم: 6706 ج: 8 ص: 10.

حيث تقومُ القواتُ الباكستانيةُ الخائنةُ بعمليةٍ مشتركةٍ مع العدوِ الصليبيِ الأمريكيِ، الذي يقصفُ أهلَ وزيرستانَ والمجاهدين والمهاجرين من الجوِ، بينما تهاجمُهم القواتُ الباكستانيةُ بقواتِها ومدافعِها وطائراتِها من الأرضِ والجوِ، فقتلت آلافَ النساءِ والأطفالِ والمسنين والشبابِ، ورحّلت خارجَ وزيرستانَ قرابةَ مليونِ لاجئٍ، يتسولون المعونةَ، ويعانون سوءَ المأوى ومشقةَ الحصولِ على الغذاءِ والسكنِ والدواءِ من أفغانستانَ ومدنِ باكستانَ في حرِ الصيفِ القائظِ وبردِ الشتاءِ القارسِ.

وحكامُ باكستانَ من السياسيين والعسكريين يعاملونهم كالحشراتِ، حتى يرضى عنهم السيدُ الأمريكيُ، ويملأوا جيوبَهم بالمالِ الحرامِ.

كل هذا سعيًا منهم بلا جدوى في تأمينِ خروجِ المحتلِ الصليبيِ من أفغانستانَ.

وتشاركُهم أجهزةُ الإعلامِ في تغطيةِ الجريمةِ، بل وتتمُ بمباركتِها باسمِ الحربِ على الإرهابِ.

وصدق اللهُ العظيمُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

كلُ هذا وإخوانُكم من المهاجرين والمجاهدين صامدون صمودَ الجبالِ الرواسيِ، رغم شلالِ الدماءِ الذي يتدفقُ منهم، ويُنكون -بفضلِ اللهِ- في أعدائِهم، وتتحطمُ على صمودِهم وجهادِهم حملاتُ الخونةِ وسادتِهم الصليبيين، ويرقبون فجرَ النصرِ الذي بَزَغَت أنوارُه ولو كره الكافرون.

إن وزيرستانَ تكتبُ ملحمةً جديدةً في التاريخِ الإسلاميِ، وتقهرُ عبيدَ الإنجليزِ كما قهرت أسيادَهم من قبلُ بفضلِ اللهِ.

وهاهي الإمارةُ الإسلاميةُ تتزايدُ ضرباتُها في الصليبيين وعملائِهم من خونةِ العربِ والعجمِ، وتدقُ كابلَ بضرباتِها الداميةِ، فهنيئًا لأمةِ الإسلامِ بهذا النصرِ، الذي يُصنعُ في أفغانستانَ قلعةِ الإسلامِ، هذا النصرُ الذي سيفتحُ صفحةً جديدةً من النصرِ والفتحِ والتمكينِ للإسلامِ قريبًا بإذنِ اللهِ.

***

وأكتفي بهذا القدرِ، وفي الحلقةِ القادمةِ -إن شاء اللهُ- أتحدثُ عن المعالمِ الأساسيةِ للخلافةِ التي على منهاجِ النبوةِ. وأستودعُكم اللهَ الذي لا تضيعُ ودائعَه.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِ العالمين، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبه وسلم.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

الحلقة الثالثة

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وآلِهِ وصحبِهِ ومن والاهُ

أيها الإخوةُ المسلمونَ في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.. وبعدُ:

تحدثتُ فيما سبق عن الموقفِ الواجبِ تجاهِ الحملةِ الصليبيةِ على العراقِ والشامِ، وعن الجريمةِ الباكستانيةِ الأمريكيةِ ضد وزيرستانَ.

وأكدتُ فيما سبق أن الحملةَ الصليبيةَ تستهدفُ الإسلامَ باسمِ الحربِ على الإرهابِ، وأننا مع جميعِ المجاهدين من أساء منهم إلينا ومن أحسن، ومن ظلمنا ومن أنصف، ومن استخف بنا ومن أكرم، ومن تعدى علينا ومن اقتصد، ومن أنكر حقنا ومن أقر، ومن فَحُشَ في القولِ ومن تأدب، لأن الأمرَ أكبرُ من كل هذا، إنه أمرُ أمةٍ تتعرضُ لحملةٍ صليبيةٍ تقتضي منا أن نتوحدَ في مواجهتِها.

وأنا أعودُ وأكررُ حتى لا أدعَ فرصةً لحملِ كلامِي على غيرِ محاملِه، وهو أن رؤيتَنا بأن ما أعلنه أبو بكرٍ البغداديُ ليس خلافةً على منهاجِ النبوةِ، ولا يلزمُ المسلمين بيعتُها، هذه الرؤيةُ لا علاقة لها بدعوتنا لجميع المجاهدين بأن يقفوا صفًا واحدًا في وجهِ الحملةِ الصليبيةِ الصفويةِ النصيرية العلمانيةِ.

فإننا دعونا وندعو لأن يقف المسلمون والمجاهدون صفًا واحدًا في مواجهةِ الصليبيين في الغربِ وفي روسيا وفي إفريقيا وآسيا وعلى رأسِهم أمريكا وفي مواجهةِ إسرائيلَ وفي مواجهةِ الحكامِ الخونةِ المرتدين العلمانيين، الذين يتسلطون على أكثرِ بلادِ المسلمين، وفي مواجهةِ إيرانَ الصفويةِ وأذنابِها وسائرِ أعداءِ الإسلامِ.

وفي هذه الحَلقةِ أودُ أن أتحدثَ عن الخلافةِ، التي على منهاجِ النبوةِ، وعن أهمِ معالمِها باختصارٍ وبتركيزٍ، ومن أراد التوسعَ فليرجعْ لكُتبِ الفقهِ وخاصةً كُتُبُ السياسةِ الشرعيةِ ولكُتُبِ التاريخِ الإسلاميِ، وسوفُ أذكرُ -بإذنِ اللهِ- قواعدَ عامةً دون التطرقِ للتفاصيلِ.

***

وأودُ أن أقسمَ الكلامَ في هذا الشأنِ للآتي:

أولًا: بيانُ ما هي الخلافةُ على منهاجِ النبوةِ.

ثانيًا: ما هي أهمُ خصائصِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ.

ثالثًا: ما هي الطريقةُ الشرعيةُ لاختيارِ الخليفةِ؟

رابعًا: ما هي أهمُ صفاتِ الخليفةِ؟

خامسًا: الردُ على بعضِ الشبهاتِ والتساؤلاتِ.

***

أولًا: بيانُ ما هي الخلافةُ على منهاجِ النبوةِ.

عرَّف الإمامُ أحمدُ –رحمه اللهُ– خلافة النبوةِ فقال:

"كلُ بيعةٍ كانت بالمدينةِ فهي خلافةُ نبوةٍ"[6].

ولذلك علق عليه الإمامُ الزركشيُ –رحمه اللهُ– عند بحثِه لحجيةِ عملِ أهلِ المدينةِ فقال:

"هو ظَاهِرُ مَذْهَبِ أَحْمَدَ، فإن عِنْدَهُ أَنَّ ما سَنَّهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ حُجَّةٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهَا، وقال أَحْمَدُ: كُلُّ بَيْعَةٍ كانت بِالْمَدِينَةِ فَهِيَ خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَيْعَةَ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ كانت بِالْمَدِينَةِ وَبَعْدَ ذلك لم يُعْقَدْ بها بَيْعَةٌ"[7].

فكلُ بيعةٍ عُقدت على منهاجِ بيعاتِ الخلفاءِ الراشدين فهي بيعةٌ على خلافة النبوةِ، وكلُ بيعةٍ على خلافِ منهاجِ بيعاتِ الخلفاءِ الراشدين، فهي بيعةٌ على خلافةٍ على غيرِ منهاجِ النبوةِ. سمِها ملكًا عضوضًا، سمها إمارةَ استيلاءٍ، سمها خلافةَ تفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ ومغالبةٍ وغصبٍ، سمها ما تشاءُ، لكنها ليست خلافةً على منهاجِ النبوةِ.

***

ثانيًا: ما هي أهمُ خصائصِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ؟

أهم خصائصِ خلافةِ النبوةِ هو التحاكمُ للشريعةِ، وأن يقولَ من يُدْعَى لها سمعًا وطاعةً، عملًا بقولِ الحقِ سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فأما من يشهدُ عليه العلماءُ الأثباتُ بالتهربِ من التحاكمِ للشريعةِ إذا دُعي لها فليس على منهجِ النبوةِ، بل لا يصلحُ أصلًا لأن يُبايعَ.

وقد ذكر الإمامُ الماورديُ –رحمه اللهُ– أن واجباتِ الخليفةِ عشرةٌ، ملخصُها:

حفظُ العقيدةِ، والفصلُ في المنازعاتِ، ونشرُ الأمنِ، وإقامةُ الحدودِ، وتحصينُ الثغورِ، وجهادُ الأعداءِ، وجبايةُ الفيءِ والصدقاتِ، وتقديرُ العطايا وصرفُها، وتوليةُ الأمناءِ، ومباشرةُ الأمورِ.

ثم قال الإمامُ الماورديُ رحمه اللهُ: "وَإِذَا قَامَ الْإِمَامُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حُقُوقِ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَوَجَبَ لَهُ عَلَيْهِمْ حَقَّانِ الطَّاعَةُ وَالنُّصْرَةُ مَا لَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُهُ"[8].

[6] منهاج السنة النبوية ج: 6 ص: 91، الخلافة والملك لابن تيمية ج: 35 ص: 26.

[7] البحر المحيط في أصول الفقه ج: 3 ص: 531.

(8) الأحكام السلطانية للماوردي ص: 27.

فإذا لم يكنْ من يدعي الخلافةَ متمكنًا من إقامةِ هذه الواجباتِ كلِها في المناطقِ التي يزعمُ استيلاءَه عليها، وهي الأقلُ القليلُ من بلادِ المسلمين، فلا يستطيعُ فيها كلِها حفظَ الأمنِ ولا جمعَ الزكاةِ ولا إيصالَها لمستحقيها، ولا تحريرَها من الأعداءِ، وإنما سلطانُه فيها في قوةٍ وضعفٍ على أجزاءَ تزيدُ وتنقصُ كلَ يومٍ، فكيف يزعمُ أنه خليفةٌ على سائرِ بلادِ المسلمين؟

وإذا كانتِ العديدُ من بلادِ المسلمين –حتى التي يزعمُ استيلاءَه عليها– فيها سلطانٌ لجماعاتٍ وإماراتٍ مجاهدةٍ أخرى، تقومُ بالعديدِ من الفرائضِ الشرعيةِ كالحكمِ بالشريعةِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ والجهادِ، وليس له في مناطقِهم سلطانٌ، ولم يبايعوه، فكيف يزعمُ أنه أحقُ منهم بالولايةِ، ولم يعلنْ نفسَه خليفةً إلا بمبايعةِ نفرٌ ممن حولَه.

وإذا لم يكنْ مستطيعًا قبلَ زعمِه للخلافةِ نصرةَ المسلمين، ولا إيصالَ حقوقِهم إليهم في الأكثرِ الأغلبِ من ديارِ المسلمين، فكيف يطالبهم ببيعتِه ونصرتِه وطاعتِه؟

وإذا لم يتوفرْ لمدعي الخلافةِ ركناها وهما البيعةُ والتمكنُ من القيامِ بحقوقِها، فأقصى ما يمكنُ أن يدعيه أنه مستولٍ على بعضِ مناطقِ بلادِ المسلمين، وإمارتُه إمارةُ استيلاءٍ عليها. ولا يجوزُ له ادعاءُ تولي منصبٍ لم يستوفِ شرطَه الأولَ وهو البيعةُ، ولا هو قادرٌ على القيامِ بأعباءِ شرطِه الثاني وهو التمكنُ من القيامِ بحقوقِ الخلافةِ.

إن الخلافةَ وهي الإمامةُ العظمى ليست مجردَ دعوى بلا دليلٍ ولا وهمٍ بلا حقيقةٍ، بل هي حقائقُ يجبُ أن تتوفرَ في أرضِ الواقعِ لتستحقَ وصفَها الشرعيَ، فتؤدي إلى مقاصدِها التي شُرعت لها.

وليست مجردَ آمالٍ ورغباتٍ تتحققُ بمجردِ إطلاقِ أسمائِها. فإن الاعتبارَ في الشرعِ للحقائقِ وليس للأسماءِ، وهنا يأتي السؤالُ الهامُ: لماذا التسابقُ على ادعاءِ أوصافٍ وألقابٍ لم تتوفرْ حقائقُها؟

لماذا لا نعترفُ بالحقيقةِ كما هي؛ وهي أننا في مرحلةِ دفعٍ للعدوِ الصائلِ على المسلمين، وأن المجاهدين تحقق لهم في بعضِ البقاعِ نوعُ تمكنٍ لا يرقى للخلافةِ، التي نسعى لإقامتِها بعونِ اللهِ.

وأننا بدلًا من التسابقِ على ادعاءِ ألقابٍ وأوصافٍ لا حقيقةَ لها، علينا أن نقويَ ونمكنَ للكياناتِ الجهاديةِ الإسلاميةِ الموجودةِ بالفعلِ، وعلى رأسِها الإمارةُ الإسلاميةُ في أفغانستانَ بقيادةِ أميرِ المؤمنين الملا محمدٍ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ، بدلًا من التمردِ عليها ونكثِ بيعتِها والتعالي عليها ونكرانِ جميلِها والتنكرِ لسبقِها بل ومطالبةِ جنودِها بنقضِ عهودِها بدعاوى لا حقيقةَ لها ولا برهانَ عليها.

لمصلحةِ من كلُ هذا؟ حسبُنا اللهُ ونعم الوكيلُ.

وسأتعرضُ لاحقًا –إن شاء اللهُ– لبيانِ هل توفرتِ الظروفُ الملائمةُ لقيامِ الخلافةِ أم لا؟ وإذا لم تكن قد توفرت، فما هو البديلُ؟ وما هو السبيلُ العمليُ لإقامتِها بإذنِ اللهِ؟

***

ثالثًا: ما هي الطريقةُ الشرعيةُ لاختيارِ الخليفةِ؟

تولي الخلافةِ يجبُ أن يكونَ برضا المسلمين، وهذه هي طريقةُ الخلفاءِ الراشدين سواءً بالاختيارِ أو الاستخلافِ.

فالصديقُ –رضي اللهُ عنه– لما احتج على الأنصارِ –رضي اللهُ عنهم– قال في روايةِ البخاريِ: "وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ"(9).

وفي مصنفِ عبدِ الرزاقِ: "ولن تعرفَ العربُ هذا الأمرَ إلا لهذا الحيِ من قريشٍ فهم أوسطُ العربِ دارًا ونسبًا"(10).

وهذا حديثٌ سندُه مسلسلٌ بالأئمةِ الثقاتِ بفضلِ اللهِ.

أي احتج عليهم بأن عامةَ المسلمين –وهم العربُ في هذا الوقتِ– لا ترضى إلا برجلٍ من قريشَ، وهو ما نص عليه أيضًا الحديثُ الشريفُ، أي أن عامةَ المسلمين –ويمثلُهم أهلُ الحَل والعقدِ– لهم الحقُ في أن يختاروا من بينِ من تتوفرُ فيه شروطُ الخلافةِ الشرعيةِ.

وهذا ما أكده سيدُنا عمرُ –رضي اللهُ عنه– في خطبةٍ جامعةٍ له بالمدينةِ المنورةِ.

أخرج الإمامُ البخاريُ –رحمه اللهُ– حديثَ سيدِنا عمرَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي اللهُ عنهم– قَالَ:

"كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ، يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بكرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ. فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي –إِنْ شاء اللهُ– لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا، وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدُمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللَّهِ –إِنْ شاء اللهُ– لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ".

إلى أن قال رضي اللهُ عنه: "فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لَا أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِي، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا، حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَعْقِلَهَا فَلَا أُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ".

إلى أن قال رضي اللهُ عنه:

---

(9) صحيح البخاري– كتاب: الحدود– باب: رَجْمِ الْحُبْلَى مِنْ الزِّنَا إِذَا أَحْصَنَتْ– حديث رقم: 6328.

(10) مصنف عبد الرزاق– كتاب: المغازي– بيعة أبي بكر –رضي الله تعالى عنه– في سقيفة بني ساعدة– حديث رقم: 9758 ج: 5 ص: 439.

"ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَلَا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بكرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الْأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بكرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُبَايَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلَا".

إلى أن قال رضي اللهُ عنه:

"فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ، حَتَّى فَرِقْتُ مِنْ الِاخْتِلَافِ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أبا بكرٍ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَتْهُ الْأَنْصَارُ"[11].

وفي روايةٍ أخرى في مصنفِ ابنِ أبي شيبةَ رحمه اللهُ: "... إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ، أَنَّ أُنَاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ خِلاَفَةَ أَبِي بكرٍ فَلْتَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَتْ فَلْتَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، إِنَّهُ لاَ خِلاَفَةَ إِلاَ عَنْ مَشُورَةٍ"[12].

وهذا سندٌ صحيحٌ مسلسلٌ بالثقاتِ بفضلِ اللهِ.

وفي روايةِ أحمدَ -رحمه اللهُ- في المسندِ بسندٍ صحيحٍ على شرطِ مسلمٍ:

"فمن بايعَ أميرًا عن غيرِ مشورةِ المسلمين فلا بيعةَ له ولا بيعةَ للذي بايعَه تغرةَ أن يقتلا"[13].

وأرجو ملاحظةَ أن هذه الخطبةَ قد ألقاها سيدُنا عمرُ في المدينةِ النبويةِ -شرفها اللهُ- حيث موضعُ قادةِ الأمةِ وأهلِ السنةِ والفقهِ والعلمِ، كما نبهه إلى ذلك سيدُنا عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي اللهُ عنه، وقد نبه سيدُنا عمرُ -رضي اللهُ عنه- المسلمين لأهميتِها، وطلب ممن يعيها أن يبلغَها لأقصى ما يستطيعُ تبليغَها. فهي حدثٌ هامٌ عظيمٌ، قيل بمحضرِ عددٍ كبيرٍ من الصحابةِ رضوان اللهِ عليهم، وهم أهلُ الحَلِ والعقدِ، ولم يعلم لها مخالفٌ، ورُويت في أصحِ كتبِ السنةِ. فهي أشبهُ بالإجماعِ أو اتفاقِ الصحابةِ رضوان اللهِ عليهم، الذي لم يعلمْ له مخالفٌ.

وفي هذه الخطبةِ الهامةِ الخطيرةِ نبه سيدُنا عمرُ -رضي اللهُ عنه- لأمورٍ خطيرةٍ:

الأولُ: أن من يبايعْ رجلًا دون مشورةِ المسلمين قد اغتصب من المسلمين حقَهم.

الثاني: أن من يفعلْ هذا يجبُ تحذيرُ الأمةِ منه.

الثالثُ: أنه لا بيعةَ له ولا بيعةَ لمن بايعه.

الرابعُ: أنه لا يجبُ أن يتابعَ على ما فعل.

الخامسُ: أن بيعةَ سيدِنا أبي بكرٍ كانت بيعةً عامةً من المهاجرين والأنصار.

---

[11] صحيح البخاري- كتاب: الحدود- بَاب: رَجْمِ الْحُبْلَى مِنْ الزِّنَا إِذَا أَحْصَنَتْ- حديث رقم: 6328 ج: 21 ص: 106.

[12] مصنف ابن أبي شيبة- كتاب: المغازي- مَا جَاءَ فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَسِيرَتِهِ فِي الرِّدَّةِ- حديث رقم: 38197 ج: 14 ص: 563.

[13] مسند أحمد بن حنبل- مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه- حديث رقم: 391 ج: 1 ص: 55.

السادسُ: أن أمرَ الحَلِ والعقدِ هو لأهلِ الفقهِ والعلمِ وأشرافِ الناسِ، وأهلِ شوكةِ الإسلامِ من صحابةِ رسولِ اللهِ -صلى اللهُ عليه وسلم- بالمدينةِ، وليس للمجاهيلِ الذين لا يُعرفُ لهم اسمٌ ولا كنيةٌ، ولا عددٌ، ويستأثرون بالأمرِ دون المسلمين.

وقال أيضًا -رضي اللهُ عنه- في مصنفِ عبدِ الرزاقِ رحمه اللهُ:

"الإمارةُ شورى"(14).

وهذا الخبرُ سندُه صحيحٌ مسلسلٌ بالأئمةِ الثقاتِ بفضلِ اللهِ.

وأخرج الإمامُ البيهقيُ -رحمه اللهُ- في سننِه الكبرى أن سيدَنا عمرَ بنَ الخطابِ -رضي اللهُ عنه- قال للصحابةِ وهو على فراشِ الموتِ:

"أَمْهِلُوا فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ صُهَيْبٌ مَوْلَى بَنِي جُدْعَانَ ثَلاَثَ لَيَالٍ، ثُمَّ اجْمَعُوا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَشْرَافَ النَّاسِ وَأُمَرَاءَ الأَجْنَادِ فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ، فَمَنْ تَأَمَّرَ عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ"(15).

وهذا سندٌ صحيحٌ بفضلِ اللهِ.

وفي بيعةِ سيدِنا عثمانَ -رضي اللهُ عنه- قال سيدُنا عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ لسيدِنا علي -رضي اللهُ عنهما- في الحديثِ الذي أخرجه الإمامُ البخاريُ رحمه اللهُ: "أَمَّا بَعْدُ يَا عَلِيُّ إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ، فَلاَ تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا. فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَايَعَهُ النَّاسُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ وَأُمَرَاءُ الأَجْنَادِ وَالْمُسْلِمُونَ"(16).

وفي هذا الحديثِ معنىً خطيرٌ، وهو أنه لا يكفي أن يكونَ الشخصُ أهلًا للخلافةِ مستوفيًا لشروطِ المنصبِ ليكونَ خليفةً، وإنما لا يكونُ كذلك إلا باختيارِ المسلمين، الذين من حقِهم أن يختاروا من بين المؤهلين لهذا المنصبِ، فإن الستةَ الذين اختارهم عمرُ -رضي اللهُ عنهم- كانوا أهلًا للخلافةِ، ثم اختاروا من بينهم اثنين: عليًا وعثمانَ رضي اللهُ عنهم، وسيدُنا عليٌ كان أهلًا للخلافةِ بلا خلافَ، ولكن رأى جمهورُ المسلمين ألا يختاروه، واختاروا غيرَه ممن يصلحُ للخلافةِ أيضًا.

---

(14) مصنف عبد الرزاق- كتاب: المغازي- بيعة أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- في سقيفة بني ساعدة- حديث رقم: 9760 ج: 5 ص: 446..

(15) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي- كتاب قتال أهل البغى- باب مَنْ جَعَلَ الأَمْرَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْتَصْلِحِينَ لَهُ- حديث رقم: 17022 ج: 8 ص: 151.

(16) صحيح البخاري- كتاب: الأحكام- باب: كيف يبايع الإمام الناس- حديث رقم: 6667.

فهذه هي سيرةُ الخلفاءِ الراشدين رضي اللهُ عنهم؛ أن جمهورَ الأمةِ -ويمثِلُهم أهلُ الحَلِ والعقدِ، الذين إن وافقوا فقد وافقتِ الأمةُ، وإن رفضوا فقد رفضت الأمةُ- هم الذين يختارون خليفتَهم من بين من يصلحُ لتولي منصبِ الخلافةِ.

وقد أكد هذا شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمه اللهُ- وهو يردُ على الرافضةِ، الذين يزعمون كذبًا أن أبا بكرٍ الصديقَ -رضي اللهُ عنه- قد بايعته أقليةٌ من الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم.

وعن هذا المعنى وهو أن البيعةَ لا تنعقدُ إلا بجمهورِ أهلِ الحَل والعقدِ -الذين يمثلون الأمةَ- يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمه اللهُ- وهو يردُ على الرافضيِ الحِلي في شأنِ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنه، حيث زعم الحِليُ الرافضيُ أن سيدَنا أبا بكرٍ -رضي اللهُ عنه- لم تبايعْه إلا قلةٌ من الصحابةِ، فأنكر ابنُ تيميةَ -رحمه اللهُ- قولَه، وفنده، فقال رحمه اللهُ:

"ولو قُدر أن عمرَ وطائفةً معه بايعوه، وامتنع سائرُ الصحابةِ عن البيعةِ لم يصرْ إمامًا بذلك، وإنما صار إمامًا بمبايعةِ جمهورِ الصحابةِ، الذين هم أهلُ القدرةِ والشوكةِ.

فمن قال إنه يصيرُ إمامًا بموافقةِ واحدٍ أو اثنين أو أربعة، وليسوا هم ذوي القدرةِ والشوكةِ فقد غلط.

فجمهورُ الذين بايعوا رسولَ اللهِ -صلى اللهُ عليه وسلم- هم الذين بايعوا أبا بكرٍ.

وأما عمرُ فإن أبا بكرٍ عهِد إليه وبايعه المسلمون بعد موتِ أبي بكرٍ، فصار إمامًا لما حصلت له القدرةُ والسلطانُ بمبايعتِهم له.

فيقالُ أيضًا عثمانُ لم يصرْ إمامًا باختيارِ بعضِهم بل بمبايعةِ الناسِ له، وجميعُ المسلمين بايعوا عثمانَ بنَ عفانَ، ولم يتخلفْ عن بيعتْه أحدٌ.

وإلا فلو قُدر أن عبدَ الرحمنِ بايعه، ولم يبايعْه عليٌ ولا غيرُه من الصحابةِ أهلِ الشوكةِ لم يصرْ إمامًا"[17].

فأقولُ لمن يزعمُ أن خلافة النبوةِ تكونُ ببيعةٍ سريةٍ من عددٍ قليلٍ من المجاهيلِ لشخصٍ لم تخترْه الأمةُ، وافتئتوا على المسلمين وأهلِ الجهادِ والعلمِ والفضلِ والرئاسةِ والزعامةِ فيهم، أقولُ لهم: هذا الذي تزعمونه هو عينُ ما زعمه الرافضيُ المطهرُ الحِليُ؛ أن الصحابةَ -رضوانُ اللهِ عليهم- قد فعلوه في بيعةِ سيدِنا أبي بكرٍ الصديقِ رضي اللهُ عنه، بأنه صار خليفةً ببيعةِ عددٍ قليلٍ من الصحابةِ.

وهذا الذي زعمتموه هو الذي أنكره شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمه اللهُ- على الحِلي الرافضي، وأبطل كلامَه، بأن بين ووضح أن الخلفاءَ الراشدين بايعهم جمهورُ أهلِ الحَل والعقدِ من الصحابةِ والمهاجرين -رضوانُ اللهِ عليهم- أو كلُهم.

---

[17] منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 365 إلى 367.

فمن يزعمُ أن بيعةَ القلةِ المجاهيلِ لشخصٍ لم ترضَه الأمةُ طريقةٌ شرعيةٌ، فهو يوفرُ لأمثالِ المطهرِ الحِلِي الرافضيِ الحجةَ. فانظرْ في أيةِ ورطةٍ سقطوا؟ يقولون بأنهم يعادون الرافضةَ، بينما هم بمزاعمِهم يوفرون لهم الحججَ على شبهاتِهم الكاذبةِ!!

والبيعةُ لا تكونُ إلا بالرضا وليس بالإكراهِ، ولذلك أفتى الإمامُ مالكٌ أهلَ المدينةِ أن بيعاتِهم للمنصورِ باطلةٌ، لأنها بيعاتٌ تمت بالإكراهِ.

ذكر ابنُ كثيرٍ -رحمه اللهُ- عن بيعةِ أهلِ المدينةِ لمحمدٍ بنِ عبدِ اللهِ المعروفِ بالنفسِ الزكيةِ فيما ذكر عن أحداثِ سنةِ مائةٍ وخمسٍ وأربعين:

"وقد خطب محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ أهلَ المدينةِ في هذا اليومِ، فتكلم في بني العباسِ وذكر عنهم أشياءَ ذمهم بها، وأخبرهم أنه لم ينزلْ بلدًا من البلدانِ إلا وقد بايعوه على السمعِ والطاعةِ، فبايعه أهلُ المدينةِ كلُهم إلا القليلَ.

وقد روى ابنُ جريرٍ عن الامامِ مالكٍ: أنه أفتى الناسَ بمبايعتِه، فقيل له: فإن في أعناقِنا بيعةً للمنصورِ، فقال: إنما كنتم مكرهين وليس لمكرهٍ بيعةٌ.

فبايعه الناسُ عند ذلك عن قولِ مالكٍ"[18].

***

ومما يُستأنسُ به في هذا المقامِ مبايعةُ سلطانِ مصرَ والشام ركنِ الدينِ بيبرسَ وأكابرِ العلماءِ -ومنهم سلطانُ العلماءِ الشيخُ عزُ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ -رحمه اللهُ- للخليفةِ العباسي المستنصرِ، لما وفد على مصرَ عامَ ستِمائةٍ وتسعةٍ وخمسين، بعد ثلاثِ سنواتٍ ونصفٍ من سقوطِ الخلافةِ العباسيةِ، لما غزاها التتارُ، وكان يومًا مشهودًا في تاريخِ الإسلامِ كما ذكر المؤرخون.

والخليفةُ المستنصرُ كان قد بويع قبلَه للخليفةِ الحاكمِ بأمرِ اللهِ سنةِ ستِمائةٍ وثمانيةٍ وخمسين من قِبلِ صاحبِ حلبٍ وقلةٍ من المسلمين، فلم يعتدْ سلطانُ مصرَ وعلماؤها بتلك البيعةِ، وبايعوا المستنصرَ، لأن مصرَ كانت هي مركزُ شوكةِ الإسلامِ، وسلطانُها هو صاحبُ الكلمةِ على مصرَ والشامِ بما فيها حلبُ والحجازِ وسواحلِ اليمنِ، والبحرُ الأحمرُ وبالتالي التجارةُ العالميةُ تحت سلطانِه، هذا من الناحيةِ الماديةِ، أما من الناحيةِ المعنويةِ فهو راعي المساجدِ الثلاثةِ؛ الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، ولأن بمصرَ -في هذا الوقت- أكثرُ العلماءِ والفضلاءِ.

ثم بايع بعد ذلك الحاكمُ للمستنصرِ باللهِ.

ويستفادُ من هذه القصةِ أن أكابرَ العلماءِ الذين -لا يخشون في اللهِ لومةَ لائمٍ- من أمثالِ سلطانِ العلماءِ وبائعِ الملوكِ الشيخِ عزِ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ -رحمه اللهُ- لم يعتدوا ببيعةِ القلةِ للحاكمِ بأمرِ اللهِ.

---

[18] البداية والنهاية ج: 10 ص: 90.

وهذه القصةُ وإن لم تكنْ دليلًا شرعيًا، ولكنها مما يُستأنسُ به.

ثم في القصةِ فائدةٌ أخرى، وهي أن الخليفةَ المستنصرَ بعد أن بويعَ بالخلافةِ فوض الأمرَ للسلطانِ بيبرسَ بعقدٍ علنيٍ أمام الملأِ.

وهذا يدعونا لأن نتوقفَ عند كلِ بيعةٍ سريةٍ، هل تضمنتها شروطٌ سريةٌ لم تعلنْ على الملأِ؟ لأننا أحيانًا نجدُ شخصًا يقولُ كلامًا، ثم يناقضُه أتباعُه.

فهل هو متناقضٌ مع أتباعِه؟ أم هو متقلبٌ في مواقفِه؟ أم يفرضُ عليه أتباعُه أمورًا لا نعلمُها؟

ومن أمثلةِ البيعاتِ المشروطةِ ما اشترطه الشيخُ أبو حمزةَ المهاجرُ على الشيخِ أبي عمرَ البغداديِ رحمهما اللهُ، إذ اشترط عليه عند مبايعتِه أن يكونَ الشيخُ أبو عمرَ تابعًا للشيخِ أسامةَ رحمه اللهُ، وعن طريقِه يكونُ مبايعًا للملا محمدِ عمرَ، فأقر الشيخُ أبو عمرَ -رحمه اللهُ- بذلك، وأرسل لنا الشيخُ أبو حمزةَ -رحمه اللهُ- بهذا، وهو الأمرُ الذي أكده خلفاؤه من بعدِه.

***

رابعًا: ما هي أهمُ صفاتِ الخليفةِ؟

للخليفةِ شروطٌ عددها الفقهاءُ.

ولكني سأركزُ على شرطٍ منها لكثرةِ ما غاب عن أذهانِ المعاصرين، ألا وهو العدالةُ الجامعةُ لشروطِها.

وهذه العدالةُ شرطٌ في كلِ ولايةٍ شرعيةٍ، ولذا فهي شرطٌ في أهلِ الحَلِ والعقدِ، وفيمن يُرشحُ للخلافةِ، فمن كان مجهولًا أو مجروحًا في عدالتِه فلا يصلحُ لأيةِ ولايةٍ شرعيةٍ، وبالأحرى لا يصلحُ لأن يكونَ من أهلِ الحَلِ والعقدِ ناهيك عن أن يكونَ خليفةً.

وذلك لقولِ الحقِ سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

نقل الإمامُ القرطبيُ عن ابنِ خويزِ منداد رحمهما اللهُ- في تفسيرِ هذه الآية: "قال ابنُ خويزِ منداد: وكلُ من كان ظالما لم يكنْ نبيًا ولا خليفةً ولا حاكمًا ولا مفتيًا، ولا إمامَ صلاةٍ، ولا يُقبلُ عنه ما يرويه عن صاحبِ الشريعةِ، ولا تُقبلُ شهادتُه في الأحكامِ"[19].

***

[19] تفسير القرطبي ج: 2 ص: 109.

فمن انخرمت عدالتُه لا يصلحُ للولاياتِ الشرعيةِ، مثل الإمارةِ والحَلِ والعقدِ، ومثالُ ذلك أن يثبت عليه أنه يتهربُ من التحاكمِ للشريعةِ، أو يكذبُ، أو ينكُثُ العهودَ، أو يصرُ ويجاهرُ بمعصيةِ أميرِه، أو يغلو في تكفيرِ المسلمين، أو يتهمُهم بالتهمِ الباطلةِ، أو يستخفُ بدمائِهم وحرماتِهم، أو يُحَذِرُ منه أهلُ الفضلِ المشهودُ لهم بالسبقِ في الدعوةِ والصدعِ بالحقِ، والذين لا يخافون في اللهِ لومةَ لائمٍ.

***

وأنا هنا أودُ أن أنصحَ إخواني المجاهدين، وأنا أحوجُهم لهذه النصيحةِ، فأقولُ لكلِ أخٍ مجاهدٍ:

لا تقاتلْ إلا من تثقُ بأنه عدوٌ للإسلامِ ومستحقٌ للقتالِ، واعلم أن أميرَك لن يغنيَ عنك يومَ القيامةِ شيئًا، واحذرْ من أن يكونَ لأميرِك هدفٌ سياسيٌ أو عداوةٌ مع خصمٍ أو منافسةٌ على سلطةٍ أو نفوذٍ، فيستخدمَك من أجلِ صراعاتِه.

ولا تكفرْ إلا من تأكدت من كفرِه، ولا تكنْ إمعةً، فأنت ستحاسب وحدك يومَ القيامةِ.

وأميرُك لن يغنيَ عنك يومَ القيامةِ شيئًا، بل هو محتاجٌ لمن يُنجيه من الحسابِ.

وتذكرْ قولَ الحقِ سبحانه وتعالى:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

وتذكرْ ما أخرجَه البخاريُ –رحمه اللهُ– عن أسامةَ بنِ زيدٍ –رضي اللهُ عنهما– قال:

"بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ –صلى اللهُ عليه وسلم– إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي، حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم، فَقَالَ: "يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ". قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ"[20].

***

وأكتفي بهذا القدرِ، وفي الحَلقة القادمةِ –إن شاء اللهُ– أتعرضُ بإيجازٍ لبعضِ الشبهاتِ والتساؤلاتِ حول هذا الموضوعِ.

وأستودعُكم اللهَ الذي لا تضيعُ ودائعَه.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِ العالمين، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبه وسلم.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

---

[20] صحيح البخاري– كتاب المغازي– باب بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة.

الحلقة الرابعة

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وآلِهِ وصحبِهِ ومن والاهُ.

أيها الإخوةُ المسلمونَ في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.. وبعدُ:

تحدثت فيما سبق عن:

أولًا: بيانُ ما هي الخلافةُ على منهاجِ النبوةِ.

ثانيًا: ما هي أهمُ خصائصَ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ.

ثالثًا: ما هي الطريقةُ الشرعيةُ لاختيارِ الخليفةِ؟

رابعًا: ما هي أهمُ صفاتِ الخليفةِ؟

وأودُ أن أتحدثَ اليوم عن:

خامسًا: الردُ على بعضِ الشبهاتِ والتساؤلاتِ.

***

وسأقومُ –بعونِ اللهِ– بالردِ بإيجازٍ وتركيزٍ على الشبهاتِ والتساؤلاتِ التاليةِ:

أولًا: شبهةُ إمارةِ الاستيلاءِ.

ثانيًا: شبهةُ جوازِ بيعةِ الأقليةِ.

ثالثًا: هل من رفض مبايعةَ من لا يراه أهلًا آثمٌ؟

رابعًا: هل يجبُ أن نقبلَ بأيِ خليفةٍ لأنه نصبَ نفسَه عند شغورِ منصِبِ الخلافةِ؟ وبالتالي فإن أيَ خليفةٍ خيرٌ من بقاءِ المسلمين بغيرِ خليفةٍ. بالرغمِ من وجودِ أمراءَ ممكنين للمسلمين قائمين بالعديدِ من الفروضِ الشرعيةِ كالجهادِ والقضاءِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وبالرغمِ من وجودِ جماعاتٍ تسعى حثيثًا في إقامةِ خلافةٍ على منهاجِ النبوةِ.

خامسًا: هل من لم يبايعْ من نصب نفسَه خليفةً –وهو ليس بأهلٍ لذلك– يلحقُه الوعيدُ الواردُ في حديثِ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم: "مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"؟

سادسًا: شبهةُ: حتى لو اعتبرتم أن فلانًا ليس بأهلٍ للخلافةِ، فإننا قد تصفحنا في المؤهلين للخلافةِ فلم نجدْ أفضلَ منه.

سابعًا: هل من زعم لنفسِه الخلافةَ -دون مشورةِ المسلمين- يحقُ له أن يأمرَ أتباعَه بأن يفجروا رؤوسَ من لا يقبلُ بخلافتِه بزعمِ أنهم يشقون الصفَ، استدلالًا بحديثِ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم: "وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ"[21].

ثامنًا: هل التريثُ في إعلانِ الخلافةِ لحينِ الظرفِ المناسبِ جريمةٌ؟

***

أولًا: شبهةُ إمارةِ الاستيلاءِ.

وقد يحتج البعضُ بشبهةِ إمارةِ الاستيلاءِ:

فيقولُ: إن العلماءَ أجازوا إمارةَ المستولي على الحكمِ بالسيفِ، ورأوا طاعتَه خيرًا من الخروجِ عليه، فمن استولى على بلدٍ أو عدةِ مناطقَ وأعلن نفسَه خليفةً بالغلبةِ والقوةِ فعلينا طاعتُه، حتى وإن وصل للخلافةِ بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ.

فالجوابُ عليهم:

إن الطرقَ الشرعيةَ لاختيارِ الأئمةِ تنحصرُ في طريقين: الاختيارُ أو الاستخلافُ.

ولا يكونُ ذلك إلا برضا المسلمين كما نقلتُ عن الصحابةِ -رضي اللهُ عنهم- وعن الإمامِ مالكٍ وعن ابنِ تيميةَ رحمه اللهُ.

أما انتزاعُ الإمارةِ بالسيفِ والقتالِ والتغلبِ، فإنها جريمةٌ شرعيةٌ تَسفِكُ الدماءَ، وتعتدي على الأمةِ من أجلِ السلطةِ.

"قال ابنُ حجرٍ الهيتميُ رحمه اللهُ: "لأن المتغلبَ **فاسقٌ** معاقبٌ، لا يستحقُ أن يبشرَ ولا يُؤمرَ بالإحسانِ فيما تغلب عليه، بل إنما يستحقُ الزجرَ والمقتَ والإعلامَ **بقبيحِ أفعالِه وفسادِ أحوالِه**"[22].

وإنما قبل بعضُ العلماءِ طاعةَ المتغلبِ ضرورةً، وتفصيلُ المسألةِ مبسوطٌ في كتبِ الفقهِ.

وهذه الضرورةُ لا تلزمُنا، ولا يلزمُنا بحثُها، لأننا ومعظمَ المسلمين لم يتغلبْ علينا هذا المتغلبُ، فنحن -بفضلِ اللهِ- سالمون من ظلمِه.

بل كثيرٌ من المجاهدين مستولُون على مساحاتٍ واسعةٍ شاسعةٍ.

---

[21] صحيح مسلم-كتاب: الإمارة- باب: الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ- حديث رقم: 4882 ج: 6 ص: 18.

[22] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ج: 2 ص: 627.

ثم نحن -بفضلِ اللهِ- لسنا بغيرِ بيعةٍ، بل نحن بايعنا -عن رضا- أميرَ المؤمنين الملا محمدَ عمرَ، وهو أميرُنا وأميرُ البغداديِ، الذي كان يعترفُ بإمارتِه، ويهتِفُ أتباعَه باسمِه، ثم نقض البغداديُ ومجموعتُه بيعتَه. ونحن لا ننقضُ بيعةَ أميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ -حفظه اللهُ- لخارجٍ زعم الخلافةَ -بلا شورى- في بلدٍ أو عدةِ مناطقَ.

ثم نحن -بفضلِ اللهِ- من الساعين في إقامةِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ كما سأبينُ بفضلِ اللهِ.

ثم إن العلماءَ لما قبلوا إمارةَ الاستيلاءِ من بابِ الضرورةِ ودفعِ أعظمِ المفسدتين لم يقبلوها بإطلاقٍ، بل شرطوا لها شرطًا أساسيًا، ألا وهو أن تكونَ الشريعةُ قائمةً وأحكامُها جاريةً، فمن ثبت عليه ومجموعتِه تهربُهم من التحاكمِ للشريعةِ فقد اختل الشرطُ الأساسيُ فيهم.

ثم إن الذين يستندون على هذه الشبهةِ تفتحُ عليهم بابَ خروجِ أيِ مجموعةٍ متمردةٍ عليهم لها تمكن في منطقةٍ من مناطقِهم، كما انفصل الأمويون بالأندلسِ عن العباسيين.

ويحقُ -بناءً على هذه الشبهةِ- أن تعلنَ المجموعةُ المتمردةُ عزلَ المتغلبِ الأولِ وتعيينَ متغلبٍ آخرَ بالقوةِ، وهكذا تقودُنا إمارةُ الاستيلاءِ لمستنقعٍ من الدمِ، تضيعُ فيه دماءُ خيارِ الأمةِ من المجاهدين والصالحين، وتشعلُ فتنًا يُسرُ بها أعداءُ الإسلامِ.

قال الإمامُ ابنُ العربيِ رحمه اللهُ: "وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ: إذَا خَرَجَ عَلَى الْإِمَامِ الْعَدْلِ خَارِجٌ وَجَبَ الدَّفْعُ عَنْهُ، مِثْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَمَّا غَيْرُهُ فَدَعْهُ، يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ ظَالِمٍ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنْ كِلَيْهِمَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا}.

قَالَ مَالِكٌ: إذَا بُويِعَ لِلْإِمَامِ فَقَامَ عَلَيْهِ إخْوَانُهُ قُوتِلُوا إذَا كَانَ الْأُوَلُ عَدْلًا، فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَا بَيْعَةَ لَهُمْ إذَا كَانَ بُويِعَ لَهُمْ عَلَى الْخَوْفِ"(23).

وأودُ هنا أن أنبهَ على أن بعضَ الإخوةِ قد يخلِطُ بين كلامِ العلماءِ في الصبرِ على أئمةِ الجورِ المتغلبين بالسيفِ وبين خلافةِ النبوةِ، فيستدلون بذلك الكلامِ على أن ولايةَ المتغلبِ خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ. مثل كلامِ الإمامِ أحمدَ رحمه اللهُ:

"ومن غلبهم بالسيفِ حتى صار خليفةً وسُميَ أميرَ المؤمنين لا يحِلُ لأحدٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يبيتَ ولا يراه إمامًا عليه، برًا كان أو فاجرًا، فهو أميرُ المؤمنين"(24).

وهذا استدلالٌ خاطئٌ من وجوهٍ:

أولُها: أن الصبرَ على ولايةِ المتغلبِ فيه تفصيلٌ في مذهبِ أهلِ السنة ليس هذا محلُ تفصيلِه.

---

(23) أحكام القرآن لابن العربي ج: 7 ص: 175.

(24) الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء ج: 1 ص: 20.

وثانيها: أن الإمامَ أحمدَ –رحمه اللهُ– قد وردت عنه رواياتٌ أخرى مخالفةٌ لهذا المعنى، ليس هذا محلُ بيانِها، بل إنه قد أثنى على الإمامِ أحمدَ بنَ نصرٍ الخزاعيِ رحمه اللهُ، الذي خرج على الخليفةِ الواثقِ العباسيِ، فقال الإمامُ أحمدُ عن أحمدَ بن نصرٍ: "رحمه اللهُ، ما كان أسخاه بنفسِه للهِ، لقد جاد بنفسِه له"(25).

وثالثُها: أننا نسألُ صاحبَ هذا الاستدلالِ: أيُ خلافةٍ تريدُ؟ خلافُة النبوةِ التي بشر بها النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم، وخلافةُ الخلفاءِ الراشدين، التي أمرنا النبيُ –صلى اللهُ عليه وسلم– باتباعِهم.

أم خلافةُ القهرِ والغلبةِ، التي وصفها النبيُ –صلى اللهُ عليه وسلم– بأنها تغييرٌ لسنتِه، والتي نهى سيدُنا عمرَ –رضي اللهُ عنه– عن مبايعةِ صاحبِها، ووصفه الإمامُ مالكٌ –رحمه اللهُ– بأنه ظالمٌ ينتقمُ اللهُ منه، وأنه لا بيعةَ له، ولا ينصرُ على من خرج عليه، كما مر بنا.

وأنا أودُ هنا أن أبينَ أمورًا:

الأولَ: أن خلافةَ الاستيلاءِ والتغلبِ والقهرِ، أو التي يسميها بعضُهم بخلافةِ التفجيرِ والتفخيخِ والنسفِ، هي التي جلبت على الأمةِ أسوأَ العواقبِ في تاريخِها، وكانت سببًا في هذا التدهورِ والانهيارِ الذي وصلنا له، ويكفي أنها التي أدت لتولي النساءِ والأطفالِ للحكمِ، في أشدِ الأوقاتِ حرجًا في تاريخِ الأمةِ.

مثلما ولى أمراءُ المماليكِ بمصرَ المنصورَ بنَ عزِ الدينِ أيبكَ –وهو صبيٌ صغيرٌ يُمضي وقتَه في ركوبِ الحميرِ واللعبِ بالحمامِ– ملكًا على مصرَ، وكان التتارُ قد اجتاحوا بغدادَ، واقتربوا من حلبَ، ويهددون مصرَ، فعقد الأمراءُ والعلماءُ والأعيانُ مجلسًا بحضرةِ الملكِ المنصورِ، وهو جالسٌ لا رأيَ له، فخلعه الأميرُ سيفُ الدينِ قطزُ، واستولى على السلطنةِ، واعتذر للفقهاءِ والقضاةِ بأن المنصورَ صبيٌ صغيرٌ، والبلادُ في حاجةٍ لسلطانٍ قويٍ ماهرٍ لمواجهةِ التتارِ.

ثم لما انتصر قطزُ –رحمه اللهُ– على التتارِ في عينِ جالوتَ، تآمر بيبرسُ عليه مع مجموعةٍ من الأمراءِ فقتلوه، ثم حملوا على العسكرِ وهم شاهرون سيوفَهم، حتى وصلوا إلى الدِّهليزِ السلطانيِ، فنزلوا ودخلوا والأتابكُ على بابِ الدِّهليزِ، فأخبروه بما فعلوا، فقال: من قتله منكم؟ فقال بيبرسُ: أنا. فقال: يا خوند، اجلسْ على مرتبةِ السلطانِ(26).

فغُيبتِ الشريعةُ عن تنصيبِ الإمامِ وأصبح السيفُ هو الحكَمَ.

وبدلًا من أن يُساقَ القاتلُ للقضاءِ الشرعيِ، يُكافأُ بأن يصيرَ هو السلطانَ، بل ويُعَيّنُ القضاةَ والمفتين، بل ورأينا من يُدعى للتحاكمِ في تهمٍ تصلُ لسفكِ الدماءِ تتعلقُ به وبأعوانِه، فيأبى ويتهربُ، ويقولُ: أنا الإمامُ، ومن أراد أن يتحاكمَ فليأتِ للقاضي الذي أعينُه.

وهكذا تُنتقضُ الشريعةُ، وصدق رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: "لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ، عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ"(27).

---

(25) البداية والنهاية– ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين ج: 10 ص: 303 حتي 306.

(26) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج: 2 ص: 273.

وفي التاريخِ المعاصرِ كانت إمارةُ الاستيلاءِ هي أحدُ أهمِ الأسبابِ في إفسادِ دعوةِ الإمامِ المجددِ محمدٍ بنِ عبدِ الوهابِ رحمه اللهُ، فحولتها لدولةٍ توالي الأمريكانَ والإنجليزَ على المسلمين، وتحكمُ بغيرِ ما أنزل اللهُ، وتُسَلِّمُ لهم ثرواتِهم وبلادِهم.

الأمرُ الثاني: أن الدعوةَ لخلافةِ التفخيخِ والتفجيرِ والنسفِ، ستؤدي لإشعالِ الفتنةِ بين المجاهدين، بين من يَتَّبِعُ خليفةَ التفجيرِ والتفخيخِ والنسفِ، ويعتبرُ أن غيرَه من المجاهدين لا شرعيةَ له، بل هم بغاةٌ، وأحيانًا مرتدون، وبين من لا يقبلْ بتسلطِه، ويسعى لخلافةٍ على منهاجِ النبوةِ، وهو الأمرُ الذي رأينا كوارثَه في فتنةِ القتالِ بين المجاهدين في الشامِ، ويهددُ بتدميرِ الجهادِ، ويكونُ المستفيدُ الأولُ هم أعداءَ الإسلامِ.

الأمرُ الثالثُ: أن الملكَ العضوضَ لم يخلُ من أعمالٍ صالحةٍ، فالحجاجُ بنُ يوسفَ أرسل محمدًا بنَ القاسمِ لفتحِ السندِ، والخليفةُ المعتصمُ -الذي ضرب الإمامَ أحمدَ رحمه الله- بالسياطِ فتح عموريةَ، ولكن هذا لا ينفي حقيقةَ أن التغلبَ على الملكَ بالقوةِ بغيرِ شورى مخالفٌ للشريعةِ.

ونحن اليوم نسعى لإعادةِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ، التي فيها صلاحُ المسلمين وسيادتُهم وعزتُهم، خلافةُ النبوةِ والرحمةُ التي بشرنا بها رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم، ولا نسعى لإعادةِ الملكِ العضوضِ الذي كان سببًا من أهمِ الأسبابِ في انحطاطِ المسلمين وتخلفِهم وهزيمتِهم.

نسعى لإعادةِ الخلافةِ على نموذجِ الخلفاءِ الراشدين، لا على منهجِ الحجاجِ بن يوسفَ وبسرِ بنِ أرطاةَ وأبي مسلمٍ الخراساني.

نسعى لإعادةِ الخلافةِ على منهجِ سيدِنا رسولِ اللهِ -صلى اللهُ عليه وسلم- الذي يقولُ: "خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ"(28). وكيف يحبُ الناسُ من يقهرُهم ويقهرُ خيارَهم بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ؟

***

ثانيًا: شبهةُ جوازِ بيعةِ الأقليةِ.

وأتطرقُ بإيجازٍ لتلك الشبهةِ، فقد وجدتُ بعضَ الإخوةِ يستندون لأمرين في جوازِ بيعةِ الأقليةِ:

الأمرُ الأولُ: هو ما نُقِل عن بعضِ العلماءِ -رحمهم اللهُ- أنه يجوزُ عقدُ البيعةِ للخلافةِ بواحدٍ أو اثنين أو عددٍ قليلٍ.

والجواب عليها:

---

(27) صححه الشيخ الألباني رحمه الله. [الجامع الصغير وزيادته- حديث رقم: 9206 ج: 1 ص: 921].

(28) صحيح مسلم- كتاب: الإمارة- باب: خِيَارِ الأَئِمَّةِ وَشِرَارِهِمْ- حديث رقم: 4911 ج: 6 ص: 34.

أولًا: إن هذا القولَ مخالفٌ لسنةِ الصحابةِ –رضوانُ اللهِ عليهم– واتفاقهم الصريح، الذي رُوي في أصحِ كتبِ السنةِ، كما مر بنا.

ثانيًا: تكفل شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ –رحمه اللهُ– بالردِ على هذه الشبهةِ كما مر بنا، وهي تشبهُ شُبهَ الرافضةِ في الطعنِ على الصحابةِ وسيدِنا أبي بكرٍ رضي اللهُ عنهم.

الأمرُ الثاني: ما ذكره الإمامُ النوويُ رحمه اللهُ:

"أَمَّا الْبَيْعَةُ: فَقَدْ اِتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ لِصِحَّتِهَا مُبَايَعَةُ كُلِّ النَّاسِ، وَلَا كُلُّ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعِقْدِ، وَإِنَّمَا يُشْتَرَطُ مُبَايَعَةُ مَنْ تَيَسَّرَ إِجْمَاعُهُمْ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَوُجُوه النَّاسِ"[29].

وهذا القولُ حجةٌ على من يزعمُ جوازَ البيعةِ بالأقليةِ:

أولًا: فلم يشترطْ أحدٌ الإجماعَ، بل موافقةَ الجمهورِ.

وثانيًا: لأن من يتيسرُ إِجْمَاعُهُمْ اليوم مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَوُجُوه النَّاسِ يشملُ كلَ من هذه صفته في كل الدنيا، فقد صار الاتصالُ بكلِ العالمِ اليومَ ممكنًا في أجزاءَ من الثانيةِ.

وثالثًا: لأن الإمامَ النوويَ –رحمه اللهُ– ذكر إجماعَ من تيسرَ من العلماءِ والرؤساءِ ووجوهِ الناسِ، ولم يذكرِ المجهولين، الذي لا نعرفُ لهم اسمًا ولا حتى كنيةً.

***

ثالثًا: هل من رفض مبايعةَ من لا يراه أهلًا آثمٌ؟

الجوابُ: طبعًا لا.

والدليلُ هو فعلُ عديدٍ من الصحابةِ الكرامِ رضوانُ اللهِ عليهم.

فمثلًا سادتُنا الحسينُ وابنُ الزبيرِ وعبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ –رضي اللهُ عنهم– رفضوا بيعةَ يزيدَ بنِ أبي سفيانَ.

"أخرج أبو نعيم –رحمه اللهُ– عن عروة بن الزبير رحمه اللهُ:

قال: "تثاقل عبد اللهِ بنُ الزبيرِ عن طاعةِ يزيدَ بنِ معاويةَ، وأظهر شتمَه، فبلغ ذلك يزيدَ، فأقسم لا يؤتى به إليه إلا مغلولًا، وإلا أرسل إليه، فقيل لابنِ الزبيرِ: ألا نصنعُ لك أغلالًا من فضةٍ تلبَسُ عليها الثوبَ وتبِرُّ قسمَه، فالصلحُ أجملُ لك؟ قال: فلا أَبِرُّ واللهِ قسمَه، ثم قال:

ولا أَلينُ لغيرِ الحقِ أسألُه حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

ثم قال: واللهِ لضربةٌ بسيفٍ في عزٍ أحبُ إليَّ من ضربةٍ بسوطٍ في ذلٍ، ثم دعا إلى نفسِه، وأظهر الخلافَ ليزيدَ بنَ معاويةَ"[30].

---

[29] شرح النووي على مسلم ج: 6 ص: 209.

وهذا حديثٌ سندُه صحيحٌ بفضلِ اللهِ.

وأخرج الإمامُ الإسماعيليُ رحمه اللهُ: "فَأَرَادَ مُعَاوِيَة أَنْ يَسْتَخْلِف يَزِيد -يَعْنِي اِبْنه- فَكَتَبَ إِلَى مَرْوَان بِذَلِكَ، فَجَمَعَ مَرْوَان النَّاس فَخَطَبَهُمْ، فَذَكَر يَزِيدَ، وَدَعَا إِلَى بَيْعَته، وَقَالَ: إِنَّ اللَّه أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي يَزِيدَ رَأْيًا حَسَنًا، وَإِنْ يَسْتَخْلِفهُ فَقَدْ اِسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَا هِيَ إِلَّا هِرَقْلِيَّة"(31).

وقد أخرجه الإمامُ البخاريُ -رحمه اللهُ- في صحيحِه مختصرًا.

وقال الإمامُ ابنُ حجرٍ رحمه اللهُ: "وأخرج الزبيرُ عن عبدِ اللهِ بن نافعٍ قال: خطب معاويةُ فدعا الناسَ إلى بيعةِ يزيدَ، **فكلمه الحسينُ بنُ عليٍ وابنُ الزبيرِ وعبدُ الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ**، فقال له عبدُ الرحمنِ: "**أهرقليةٌ كلما مات قيصرُ كان قيصرُ مكانَه؟ لا نفعلُ واللهِ أبدًا**"(32).

وسيدانا الحسينُ بنُ عليٍ وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ -رضي اللهُ عنهم- لم يكتفيا برفضِ تولي يزيدَ، ولكن كلًا منهما دعى لنفسِه باعتبارِ أن جمهورَ الأمةِ يقبلونه.

ويزيدُ لم يبايعْه الناسُ -قبل استيلائِه على الخلافةِ- خلسةً في سردابَ، بل جُمعت له البيعاتُ -قبل تنصيبِه- من الشامِ والحجازِ وغيرِهما.

وأنبهُ هنا إلى أن سيدَنا الحسينَ لم ينكُثْ بعهدِه لسيدِنا معاويةَ رضي اللهُ عنهما، بل ظل وفيًا لما عاهد عليه سيدُنا الحسنُ سيدَنا معاويةَ رضي اللهُ عنهما، مع أنه كان كارهًا لذلك، وكان يرى قتالَ سيدِنا معاويةَ رضي اللهُ عنهما. ولكنه وفى بعهدِه وعهدِ أخيه والمسلمين لسيدِنا معاويةَ رضي اللهُ عنه، لأنه اعتبر أن ولايةَ سيدِنا معاويةَ -رضي اللهُ عنه- ولايةٌ شرعيةٌ، لأنها تمت بإجماعِ المسلمين.

ولم يدعُ لنفسِه إلا بعد وفاةِ معاويةَ رضي اللهُ عنه، لأنه اعتبر أن ولايةَ يزيدَ بنِ معاويةَ غيرُ شرعيةٍ، لأنها تمت بالغلبةِ وبغيرِ شورى المسلمين، الذي يراه أكثرُهم غيرَ أهلٍ للخلافةِ.

***

الشبهة الرابعة: هل يجبُ أن نقبلَ بأي خليفةٍ لأنه نصبَ نفسَه عند شغورِ منصِبِ الخلافةِ؟ وبالتالي فإن أيَ خليفةٍ خيرٌ من بقاءِ المسلمين بغيرِ خليفةٍ. بالرغمِ من وجودِ أمراءَ ممكنين للمسلمين قائمين بالعديدِ من الفروضِ الشرعيةِ كالجهادِ والقضاءِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وبالرغمِ من وجودِ جماعاتٍ تسعى حثيثًا في إقامةِ خلافةٍ على منهاجِ النبوةِ.

---

(30) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني- حديث رقم: 3678 ج: 11 ص: 461، المستدرك على الصحيحين- كتاب معرفة الصحابة- ذكر عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما- حديث رقم: 6338 ج: 3 ص: 634.

(31) فتح الباري- كتاب التفسير- باب ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ..الآية﴾. ج: 13 ص: 392.

(32) الإصابة ج: 4 ص: 327. راجع أيضًا: الاستيعاب ج: 2 ص: 825.

فالجوابُ: لا.

وهذه الشبهةُ لم يقبلْها سادتُنا الحسينُ ولا عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ ولا عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنهم، فإنه لما تُوفي سيدُنا معاويةُ -رضي اللهُ عنه- وخلا منصبَ الخلافةِ، رفضوا تولي يزيدَ لمنصبِ الخلافةِ، ولم يقولوا نقبلُ بيزيدَ خيرٌ من أن نبقى بغيرِ خليفةٍ، وسعى كلٌ من سيدِنا الحسينِ ثم سيدِنا عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ -رضي اللهُ عنهم- في إقامةِ خلافةٍ على منهاجِ الخلافةِ الراشدةِ، ودعا كلٌ منهما لنفسِه مع وجودِ يزيدَ. فلم يتمَّ الأمرُ لسيدِنا الحسينِ، وتم الأمرُ لسيدِنا عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ رضي اللهُ عنهم، واعتبر العلماءُ سيدَنا عبدَ اللهِ بنَ الزبيرِ -رضي اللهُ عنهما- الخليفةَ الشرعيَ بعد أن اجتمعت له بيعاتُ الأمصارِ.

- ثم نحن لسنا بغيرِ بيعةٍ، بل في أعناقِنا وأعناقِ البغداديِ ومجموعتِه بيعتُنا وبيعتُهم للإمارةِ الإسلاميةِ، التي نكثها البغداديُ ومجموعتُه، ونحن نوفي بها بإذنِ اللهِ.

ثم نحن لسنا غافلين ولا متقاعسين عن إقامةِ الخلافةِ، بل نحن وسائرُ المجاهدين جادون في ذلك كما سأبينُ إن شاء اللهُ، ولكن خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ، وليست ملكًا عضوضًا مغالبةً وغصبًا بتفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ.

***

خامسًا: هل من لم يبايعْ من نصب نفسَه خليفةً -وهو ليس بأهلٍ لذلك- يلحقُه الوعيدُ الواردُ في حديثِ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم: "مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"؟

فالجوابُ: لا.

ولبيانِ ذلك أوردُ بعضَ رواياتِ هذا الحديثِ من الصحيحين أولًا:

أخرج الإمامُ البخاريُ -رحمه اللهُ- عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما:

"مَنْ رَأَى مِنْ **أَمِيرِهِ** شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ **فَارَقَ الْجَمَاعَةَ** شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[33].

وأخرج الإمامُ مسلمٍ -رحمه اللهُ- عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهما:

"مَنْ **خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ** لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[34].

وأخرج أيضًا -رحمه اللهُ- عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه:

---

[33] صحيح البخاري- كتاب: الفتن- بَاب: قَوْلِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ قَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ- حديث رقم: 6531 ج: 21 ص: 443.

[34] صحيح مسلم- كتاب: الإمارة- بَاب: وُجُوبِ مُلَازَمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَفِي كُلِّ حَالٍ وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَى الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ- حديث رقم: 3441 ج: 9 ص: 393.

"**مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ** فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْه"[35].

فهذا الحديثُ يدخلُ في وعيدِه الآتي ذكرُهم:

– من كان له أميرٌ ورأى منه ما يكره، وفارق جماعةَ المسلمين، الذين اجتمعوا على ذلك الأميرِ.

– ومن خلع يدَه من طاعةِ الأمير، الذي كان في طاعتِه.

– ومن خرج من طاعةِ الأميرِ مفارقًا لجماعةِ المسلمين.

ولا يدخلُ فيه من لم يبايعْ أصلًا من لم يره أهلًا للإمارةِ ولا للخلافةِ، ويؤكد ذلك موقفُ سادتِنا الحسينِ وابنِ الزبيرِ وعبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ –رضي اللهُ عنهم– من إمارةِ يزيدَ بنِ أبي سفيانَ، كما مر بنا.

ونحن بفضلِ اللهِ والأكثريةُ الغالبةُ من المجاهدين والمسلمين:

= لم ندخلْ في طاعةِ الذي نصب نفسَه خليفةً وهو ليس بأهلٍ للخلافةِ حتى نخلعَ يدًا منها.

= ولم نفارقِ الجماعةَ، لأننا لم نخرجْ على إمامٍ بايعته جماعةُ المسلمين.

= ثم نحن لم ننزعْ يدًا من طاعةٍ ولم ننكُث ببيعةٍ، لأن في أعناقِنا بيعةٌ لأميرٍ بايعناه عن رضا وهو متمكنٌ على مساحاتٍ شاسعةٍ بفضلِ اللهِ، ويدينُ له بالولاءِ عن رضا وحبٍ عشراتُ الملايين في أفغانستانَ وباكستانَ وشبهِ القارةِ الهنديةِ ووسطِ آسيا والعالمِ العربيِ وسائرِ العالمِ.

– وهل لنا فيما نقول سلفٌ؟

نعم وأيُ سلفٍ؛ الحسينُ وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ وعبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنهم، الذين رفضوا بيعةَ يزيدٍ لأنها لم تتمَّ عن مشورةِ المسلمين.

– ويؤكدُ هذا ما قاله الإمامُ أحمدُ –رحمه اللهُ– في تفسيرِ هذا الحديثِ.

ذكر الإمامُ الخلالُ رحمه اللهُ:

"وأخبرني محمدٌ بنُ أبي هارونَ أن إسحاقَ حدثهم أن أبا عبدِ اللهِ سُئِلَ عن حديثِ النبيِ: "من مات وليس له إمامٌ مات ميتةً جاهليةً". ما معناه؟

قال أبو عبدِ اللهِ: تدري ما الإمامُ؟ الإمامُ الذي **يُجْمِعُ المسلمون عليه كلُهم يقولُ هذا إمامٌ**، فهذا معناه"[36].

---

[35] صحيح مسلم –كتاب: الإمارة– بَاب: وُجُوبِ مُلَازَمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَفِي كُلِّ حَالٍ وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَى الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ– حديث رقم: 3436 ج: 9 ص: 388.

[36] السنة للخلال ج: 1 ص: 80 و81.

وعلق الإمامُ الفراءُ –رحمه اللهُ– على هذه الروايةِ بقولِه: "وظاهرُ هذا أنها تنعقدُ بجماعتِهم"(37).

والمسلمون في هذا الزمنِ لم يُجمعوا على أن من نصب نفسَه خليفةً ببيعةِ قلةٍ مجهولةٍ إمامُهم، بل لم يقلْ ذلك إلا أقلُ القليلِ ممن لا نعلمُهم.

***

سادسًا: شبهةُ: حتى لو اعتبرتم أن فلانًا ليس بأهلٍ للخلافةِ، فإننا قد تصفحنا في المؤهلين للخلافةِ فلم نجدْ أفضلَ منه.

فهو قولٌ مردودٌ، بل في المجاهدين وأفاضلِ المسلمين من يفوقُه.

قال الشيخُ أبو محمدٍ المقدسيُ –حفظه الله– في شأنِ جماعةٍ نصبت أميرَها خليفةً ببيعةِ قلةٍ من المجهولين:

"لا بد أن يُقالَ بأنه لو لم يوجدْ غيرُ هذه الجماعةِ في الساحةِ؛ لدفع هؤلاء العلماءَ علمُهم إلى تأييدِ أميرِها لأنهم مطالبون بتأميرِ الأمثلِ، فلا شك أن هؤلاءِ أمثلُ من الطواغيتِ والحكامِ المرتدين؛ أما والساحةُ تمتلئُ بالجماعاتِ المقاتلةِ المنافسةِ، التي يوازي بعضُها هذه الجماعةَ بالقوةِ ويساميها بالعددِ ويفضُلُها في النهجِ والقيادةِ.. فلا يجبُ تقديمُ المفضولِ على الفاضلِ"(38).

***

سابعًا: هل من زعم لنفسِه الخلافةَ –دون مشورةِ المسلمين– يحقُ له أن يأمرَ أتباعَه بأن يفجروا رؤوسَ من لا يقبلُ بخلافتِه بزعمِ أنهم يشقون الصفَ، استدلالًا بحديثِ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم: "وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ"(39).

والجوابُ:

أولًا: مر بنا بطلانُ بيعةِ الأقليةِ، وأن من بايعته الأقليةُ لا يعد إمامًا شرعيًا، كما دلت على ذلك سنةُ النبيِ –صلى اللهُ عليه وسلم– وسيرةُ الخلفاءِ الراشدين والصحابةِ–رضي الله عنهم– وقولِ ابنِ تيميةَ رحمه اللهُ.

ثانيًا: مر بنا قولُ الإمامِ أحمدَ –رحمه اللهُ– في بيانِ من هو الإمامُ الذي من لم يبايعْه فقد مات ميتةً جاهليةً.

ثالثًا: ومر بنا قولُ الإمامِ مالكٍ في عدمِ إعانةِ من استولى على الإمامةِ بالقهرِ ضد من خرج عليه.

رابعًا: من نكث بيعةَ أميرِه، ثم دعا لبيعتِه هو أولُ من ينطبقُ عليه هذا الحديثُ، ولا يحقُ له أن يحتجَ بهذا الحديثِ، بل هو حجةٌ عليه.

---

(37) الأحكام السلطانية ص: 23.

(38) مقال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا.

(39) صحيح مسلم–كتاب: الإمارة– باب: الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ– حديث رقم: 4882 ج: 6 ص: 18.

خامسًا: من نكث بيعةَ أميرِه، ثم دعا لبيعتِه، فبيعتُه باطلةٌ، لأن ما انبني على باطلٍ فهو باطلٍ.

سادسًا: لنتصورْ بشاعةَ الكارثةِ التي تُسببها هذه الشبهةُ، كارثةِ أن يُنصبَ رجلًا نفسَه خليفةً بغير مشورةِ المسلمين، ولا تقبلُ به الأكثريةُ الكاثرةُ من المجاهدين والمسلمين، ثم يرسلُ فرقَ الاغتيالاتِ لتفجرَ رؤوسَ أكثرَ المجاهدين الموحدين بل وأفاضلِهم، الذين يسعَون لتحكيمِ الشريعةِ وإقامةِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ، وكثيرٌ منهم في ميدانِ الجهادِ من قبلِهم بعقودٍ، ولم يتزحزحوا ولم يتراجعوا.

وهكذا يفتكُ هؤلاءِ المساكينُ بالحركةِ الجهاديةِ، وتشتعلُ الفتنةُ من داخلِها، وتدمرُ نفسَها بأيدي من ينتسبون لها.

وأعداءُ الإسلامِ يراقبون هذه الكارثةَ وهم فرحون.

ثم ليتصورْ من يصدقُ هذه الشبهةَ أيةَ مصيبةٍ هوى فيها، خرج هذا المسكينُ من بيتِه يطلبُ الجنةَ فيجدُ نفسَه في قعرِ جهنمَ، كما أخبرنا ربُنا سبحانه وتعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

ثم ألا يحقُ لنا أن نتساءلَ عن باعثِ ودافعِ من يؤزُ المجاهدين أزًا على هذه الجريمةِ بالفتاوى المنحرفةِ المتعطشةِ لدماءِ خصومِه من أفاضلِ المجاهدين والمسلمين؟ ما الباعثُ وراءَها؟ وأيةُ فتنةٍ يسعى فيها؟ وأيةُ جريمةٍ يحرضُ عليها؟

***

ثامنًا: هل التريثُ في إعلانِ الخلافةِ لحينِ الظرفِ المناسبِ جريمةٌ؟

سأؤجلُ الإجابةَ على هذه الشبهةِ تفصيلًا إلى حينِ الإجابةِ عن سؤالِ: هل الظروفُ الآن مهيأةٌ لإعلانِ الخلافةِ؟

ولكني أجيبُ باختصارٍ؛ أن الصحابةَ -رضوانُ اللهِ عليهم- لم يأثموا بنهيِ الحسينِ -رضي اللهُ عنه- عن الخروجِ على يزيدَ بنِ معاويةَ، لأنهم رأوا أن خروجَه لم تتهيأْ له ظروفُ النجاحِ. كما سيأتي إن شاء اللهُ.

***

وأكتفي بهذا القدرِ، وألقاكم في حلقةٍ قادمةٍ إن شاء اللهُ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلمَ. والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

الحلقة الخامسة

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وآلِهِ وصحبِهِ ومن والاهُ

أيها الإخوةُ المسلمونَ في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.. وبعدُ:

تحدثتُ فيما سبق عن الموقفِ الواجبِ تجاهِ الحملةِ الصليبية على العراق والشام، وعن الجريمةِ الباكستانيةِ الأمريكيةِ ضد وزيرستانَ، وعن أهمِ معالمِ الخلافةِ التي على منهاجِ النبوةِ،

وفي هذه الحلقةِ أودُ أن أتطرقَ لسؤالين:

الأول: هل الظروفُ الآن مهيأةٌ لإعلانِ قيامِ الخلافةِ؟

والثاني: إذا لم تكنِ الظروفُ الآن مهيأةً لإعلانِ قيامِ الخلافةِ، فما هو البديلُ من أجلِ السعي في إقامتِها؟

***

فبالنسبةِ للسؤالِ الأولِ وهو: هل الظروفُ الآن مهيأةٌ لإعلانِ قيامِ الخلافةِ؟

فأبدأُ قبلَ الجوابِ عليه بتمهيدٍ، وهو:

أن الحركاتِ الإسلاميةَ منذ سقوطِ الخلافةِ تسعى لاستعادتِها. وقد قطعوا خطواتٍ واسعةً في هذا المضمارِ، بل البغداديُ ومجموعتُه وأفرعُ القاعدةِ بما فيهم دولةُ العراقِ الإسلاميةُ ما هم إلا ثمرةٌ من الثمارِ العديدةِ لهذا المسعى.

ومن أجلِ الاختصارِ أضربُ مثالًا واحدًا على ذلك، وهو الإشارةُ بإيجازٍ لمساعي الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ -رحمه اللهُ- من أجلِ إقامةِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ.

= فمن هذه المساعي دعمُ الجهادِ في أفغانستانَ على أملِ أن تكونَ أفغانستانُ قلعةً للإسلامِ، ودعمُه لكثيرٍ من الحركاتِ الجهاديةِ في العالمِ ليساعدَها على إقامةِ دولٍ إسلاميةٍ في مناطقِها.

= ومن هذه المساعي دعمُه لحكومةِ السودانِ بهدفِ إنشاءِ قاعدةٍ اقتصاديةٍ تستندُ لها أيةُ حركةٍ إسلاميةٍ.

فقد كان الشيخُ -رحمه اللهُ- يرى أن أيةَ حركةٍ إسلاميةٍ تتمكنُ من الوصولِ للحكمِ، سيشنُ الغربُ الصليبيُ عليها حربًا اقتصاديةً، وأن السودانَ بإمكاناتِها الزراعيةِ الواسعةِ، يمكنُ أن توفرَ الغذاءَ الضروريَ لأيةِ دولةٍ إسلاميةٍ تُحاصرُ اقتصاديًا.

وكان -رحمه اللهُ- يستدلُ على أهميةِ الاقتصادِ بأن دولةَ إسرائيلَ قامت على أساسِ الدعمِ المالِي من اليهودِ.

أما مشروعُه الآخرُ الذي كان يرجو أن يحققَه فهو إنشاءُ طريقِ الحجِ البريِ الممتدِ من نيجيريا حتى السودانِ، لتتصلَ البلدانُ الإسلاميةُ الإفريقيةُ اقتصاديًا وثقافيًا وشعبيًا.

= ثم هجرتُه الثانيةُ لأفغانستانَ والسعيُ لتوحيدِ الأمةِ حول الحركةِ الجهاديةِ في مواجهةِ هدفٍ واحدٍ وهو العدوُ الأمريكيُ، ولذا بدأ بتحريضِه على الجهادِ ضد الأمريكانِ بعد دراستِه لكلِ الحركاتِ والتجاربِ الجهاديةِ السابقةِ، ليجمعَ الأمةَ والحركاتِ الإسلاميةَ والجهاديةَ حول قضيةٍ واحدةٍ توحدُهم كخطوةٍ أساسيةٍ للسعيِ نحو الخلافةِ.

= ثم شارك في الجهادِ في صفوفِ الإمارةِ الإسلاميةِ تحت رايةِ أميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ، ضد أعداءِ الإمارةِ الذين رأى فيهم العمالةَ لأمريكا، والعداءَ لوحدةِ المجاهدين وقيامَ الخلافةِ، وهو الأمرُ الذي أثبتته الأحداثُ، وأقر به تقريرُ الكونجرسِ عن أحداثِ الحادي عشرَ من سبتمبرَ، ووثقته مؤسسةُ السحابِ في عدةِ إصداراتٍ لها.

= ثم الخطوةُ التاليةُ الهامةُ والخطيرةُ مبايعةُ الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ –رحمه اللهُ– لأميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ حفظه اللهُ، وكان هذا من علاماتِ بصيرتِه التي أكرمه اللهُ بها. ثم دعوةُ المسلمين لبيعةِ أميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ، باعتبارِ أن له صلاحياتُ الإمامِ الأعظمِ في أفغانستانَ وفي أعناقِ من بايعوه، ومنهم جماعةُ قاعدةِ الجهادِ بأفرعِها المختلفةِ، ومنها دولةُ العراقِ الإسلاميةُ.

ومن أهمِ جنودِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ البطلان الشهيدان –كما نحسبُهما– الشيخُ أبو مصعبٍ الزرقاويِ والشيخُ أبو حمزةَ المهاجرِ رحمهما اللهُ رحمةً واسعةً.

من أيةِ مدرسةٍ تخرَّج هذان البطلان؟

الشيخُ أبو مصعبٍ نشأ في مدرسةِ الشيخِ عبدِ اللهِ عزامٍ الجهاديةِ، ثم تربى على يدِ الشيخِ أبي محمدِ المقدسيِ حفظه الله، ثم صار جنديًا في جماعةِ قاعدةِ الجهادِ.

وأودُ هنا أن أضربَ مثالين راقيين من أمثلةِ وفائِه بالعهدِ رحمه اللهُ، ليكونا قدوةً للمجاهدين في الخلقِ الراقي والسلوكِ الرفيعِ.

المثالُ الأولُ: ما قاله –رحمه اللهُ– في شريطٍ صوتيٍ للشيخِ أسامةَ –رحمهما اللهُ– إنما أنا جنديٌ تحت إمارتِك، وإن شئت عزلتني، وجرِّب لترى، وما أرسل لي به الدكتورُ في رسالتِه كان استفساراتٍ، ولو كانت أوامرَ قاطعةً لالتزمتها.

المثالُ الثاني: أرسل الشيخُ أبو مصعبٍ الزرقاوي –رحمه اللهُ– رسولًا لإخوانه في خراسان فالتقى ببعضِ القياداتِ، منهم الشيخُ مصطفى أبو اليزيدِ رحمه اللهُ، فكان مما أخبرهم به أن الشيخَ أبا مصعبٍ –رحمه اللهُ– لما كان يعرِضُ أمرَ شورى المجاهدين على الجماعاتِ المجاهدةِ، اشترطت إحدى الجماعاتِ قطعَ علاقةِ تنظيمِ القاعدةِ في بلادِ الرافدين بقيادةِ القاعدةِ، فلما نُقِلَ الأمرُ للشيخِ أبي مصعبٍ –رحمه اللهُ– قال: معاذَ اللهِ أن أنكثَ بيعتي مع الشيخِ أسامةَ رحمه اللهُ.

ومن أراد الاستزادةَ فليرجعْ –على سبيلِ المثالِ– لكلمتي الشيخِ أبي مصعبٍ الزرقاويِ رحمه اللهُ: بَيَانٌ البَيعَةُ لِتَنظِيمِ القَاعِدَةِ بِقِيَادَةِ الشَّيخِ أُسَامة بنُ لادِنَ، ورسالةٌ من جنديٍ إلى أميرِه.

أما الشيخُ أبو حمزةَ المهاجرُ –رحمه اللهُ– فقد نشأ في جماعةِ الجهادِ وكان من أخلصِ جنودِها، وكنتُ أعتبرُه أخي الأصغرَ، وفي أكثرَ من مرةٍ كان مرافقًا وحارسًا لي، وبايع هو والشيخُ أبو إسلامٍ المصريُ –رحمهما اللهُ– الشيخَ أسامةَ في أفغانستانَ.

وأحيانًا كان يراسلُنا أنا والشيخَ أسامةَ والشيخَ مصطفى بأسماءِ العمِ والوالدِ والخالِ. وقد اشترط على الشيخِ أبي عمرَ البغداديِ –رحمه اللهُ– عند بيعتِه أن يقرَ بأنه جنديٌ للشيخِ أسامةَ وبالتالي لأميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ.

ومن قبل هذا قال الشيخُ أبو حمزةَ المهاجرَ –رحمه اللهُ– في البيانِ الذي أصدره عقبَ استشهادِ الشيخِ أبي مصعبٍ الزرقاويِ رحمه اللهُ:

"شيخَنا و أميرَنا أبا عبدِ اللهِ أسامةَ بنَ لادنٍ؛

لقد مَنَّ اللهُ علينا وأكرمنا بإخوةٍ كرامٍ أشاوسَ اجتمعوا معنا في (مجلسِ شورى المجاهدين)، فكانوا خيرَ عونٍ ونصيرٍ، تعاقدنا على النّصرِ وتعاهدنا على التزامِ منهجِ السّلفِ رضي اللهُ عنهم، فجزاهم ربُنا عنا وعن جميعِ المسلمين كلَ خيرٍ.

شيخَنا و أميرَنا أبا عبدِ اللهِ أسامةَ بنَ لادنٍ؛

نحن رهنُ إشارتِكم وطوعُ أمرِكم، ونبشّرُكم بالمعنوياتِ العاليةِ لجندِكم وبالنفوسِ الكريمةِ الأبيةِ التي انضوت تحت رايتِكم وبطلائعِ نصرٍ قريبٍ بإذنِ اللهِ تعالى".

فهل يُعقلُ أن هذين البطلين الشهيدين الوفيين ينكُثان بيعتَهما مع الشيخِ أسامةَ بنَ لادنٍ من طرفٍ واحدٍ؟

بينما الحقيقةُ والوقائعُ والوثائقُ تثبتُ كذبَ هذا الادعاءِ.

ثم لمصلحةِ من يفعلُ أبو حمزةَ المهاجرُ –رحمه اللهُ– هذا؟ وهل هذا يدعمُ وحدةَ المجاهدين أم ينقضُها؟

ولماذا يخرجُ أبو حمزةَ المهاجرُ من طاعةِ أميرِ الإمارةِ الإسلاميةِ الملا محمدٍ عمرَ حفظه اللهُ؟

وما النتيجةُ لو فعل كلُ فرعٍ من القاعدةِ أو من الجماعاتِ المبايعةِ لأميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مثل ما افتروا به على أبي حمزةَ –رحمه اللهُ– بل وعلى أنفسِهم؟ النتيجةُ هي تفتتُ صفِ المجاهدين وتفرقُهم.

فهل يحقُ لمن يفعلُ ذلك أن يدعيَ أنه يدعو لوحدةِ المجاهدين؟

ومن هي المجموعةُ المستفيدةُ من الإصرارِ على ترويجِ فِريةٍ؛ أن أبا حمزةَ –رحمه اللهُ– قد نكث بيعتَه من طرفٍ واحدٍ مع الشيخِ أسامةَ رحمه اللهُ، ومع الملا محمدِ عمرَ؟

الجوابُ: إنها مجموعةُ البغدادي الساعيةُ للتمددِ بالتهربِ من التحاكمِ للشريعةِ، وباغتصاب حقوق المسلمين بغيرِ شورى ولا سمعٍ ولا طاعةٍ، وبرمي من يعارضُ تمددَها -حتى من سبقوها- بالانحرافِ والعلمانيةِ والديمقراطيةِ والإخوانيةِ بمحضِ الافتراءِ والاختلاقِ.

رحمكما اللهُ يا أبا مصعبٍ ويا أبا حمزةَ، فقد عظُمتِ المصيبةُ بفقدِكما، وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

= ثم عودةٌ لخطواتِ الشيخِ أسامةَ -رحمه اللهُ- في السعي للخلافةِ، فبالإضافةِ لما ذكرتُه من قبل، سعى الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ -رحمه اللهُ- في توحيدِ الحركاتِ الإسلاميةِ: بإنشاءِ الجبهةِ الإسلاميةِ العالميةِ لجهادِ اليهودِ والصليبيين، ثم تكوينُ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ تحت رايةِ الإمارةِ الإسلاميةِ.

= ثم توسيعُ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ بإنشاءِ أفرعَ مختلفةٍ لها، تجتمعُ كلُها في كيانٍ جهاديٍ واحدٍ تحت إمارةِ أميرٍ واحدٍ وهو أميرُ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ.

فهذا بإيجازٍ هو طريقُ الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ -رحمه اللهُ- خطوةً خطوةً نحو الخلافةِ الراشدةِ.

ورغمَ هذه الخطواتِ المباركةِ الجبارةِ، فقد كان الشيخُ أسامةُ -رحمه اللهُ- وإخوانُه يرون أن الوقتَ الآن غيرُ ملائمٍ لإعلانِ قيامِ إماراتٍ إسلاميةٍ ناهيك عن خلافةٍ، وقد نشر الأمريكانُ بعضَ مراسلاتِه، التي تضمنت هذا المعنى، وليست إشارتي لما نشره الأمريكانُ استدلالًا مني بما ينشرونه، ولكن لأبينَ ألا عذرَ لأحدٍ يهتمُ بالجهادِ والمجاهدين ألا يطَّلعَ على هذه الوثائقِ الهامةِ.

بل إن أحدَ الإخوةِ في إحدى الجماعاتِ الجهاديةِ أخبرني أنه يُدَرّسُ هذه الوثائقَ لإخوانِه للاستفادةِ مما فيها من توجيهاتٍ وعبرٍ.

ولم يكنْ نهيُ الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ -رحمه اللهُ- وإخوانِه عن إقامةِ إماراتٍ في هذا الوقتِ تقاعسًا منهم ولا جبنًا ولا تقصيرًا، ولكنه اجتهادٌ واقعيٌ رأَوه لصالحِ الجهادِ والمسلمين، باعتبارِ أن تعجلَ الشيءِ قبل أوانِه يؤدي لحرمانِه، كما يُقالُ.

ولو كانت مجردُ سيطرةِ بعضِ الإخوةِ على بقاعٍ من بلادِ المسلمين وهم فيها في كرٍ وفرٍ مع أعدائِهم، الذين نسألُ اللهَ أن ينصرَ المسلمين والمجاهدين عليهم، أقولُ: لو كانت مجردُ سيطرةِ هؤلاء الإخوةِ مبررًا لإعلانِ خلافةٍ، لكانت جماعةُ قاعدةِ الجهادِ أولى منهم بذلك، لأن لها فروعًا علنيةً وغيرَ علنيةٍ في عددٍ من البلادِ تسيطرُ -بفضلِ اللهِ ومنتِه- على مساحاتٍ شاسعةٍ.

بل أميرُ المؤمنين الملا محمدٌ عمرَ كان أولى من الجميعِ، فالقاعدةُ كلُها جزءٌ من جنودِه.

***

وهنا قد تطرأُ شبهتان:

الأولى أن يقال: هل الامتناعُ عن البيعةِ لأن الظروفَ غيرُ مهيئةٍ إثمٌ؟

والجوابُ: لا.

ومن الأدلةِ على ذلك: سعيُ العديدِ من الصحابةِ في ثني الحسينِ -رضي اللهُ عنهم- عن الخروجِ، وطلبِ البيعةِ لنفسِه، وثبَت أن رأيَهم كان هو الصوابَ، مع أن الحسينَ -رضي اللهُ عنه- جاءته البيعاتُ قبل الخروجِ، ولم يطلبِ البيعاتِ بعد أن أعلن نفسَه خليفةً.

وكان ممن عارضوه من كان من كبارِ شيعةِ أبيه وأركانِ دولتِه وقاتل تحت رايتِه كحبرِ الأمةِ سيدِنا عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي اللهُ عن الجميعِ.

***

والشبهةُ الثانيةُ: أن يقولَ قائلٌ: أنتم ترون عدمَ ملائمةِ الظروفِ لإعلانِ الخلافةِ، ونحن نرى ملائمَتها، وهذا اجتهادُكم وهذا اجتهادُنا.

فالجوابُ: لو وافقكم جمهورُ المسلمين على ذلك، لكان لكم الحقُ. فأما وهم لم يوافقوكم، فما كان لكم أن تستبدوا بأمرِ المسلمين دون مشورتِهم.

***

والسؤالُ الثاني الذي أودُ التطرقَ له هو:

إذا لم تكنِ الظروفُ الآن مهيأةً الآن لإعلانِ قيامِ الخلافةِ، فما هو البديلُ من أجلِ السعي في إقامتِها؟

فقبل الإجابةِ على هذا السؤالِ فهناك أمورٌ مهمةٌ يحسنُ أن أوضحَها وأعيدَ التأكيدَ عليها:

أولًا: نحن في عنقِنا بيعةٌ لأميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ لا نتلاعبُ بها.

ثانيًا: لا يمكنُ إقامةُ خلافةٍ تتخطى مشورتَها الإمارةَ الإسلاميةَ في أفغانستانَ باعتبارِها أكبرَ وأقدمَ إمارةٍ شرعيةٍ موجودةٍ للمسلمين، وكذلك لا يمكنُ تخطي مشورةِ إمارةِ القوقازِ، ولا الجماعاتِ المجاهدةِ الثابتةِ على ثغورِ الجهادِ.

لأن الإمارةَ الإسلاميةَ وإمارةَ القوقازِ والجماعاتِ الجهاديةِ إذا كانت كياناتٍ شرعيةً، فكيف يمكنُ تخطيها، والاستبدادُ بالأمرِ دونَها.

وإذا كان من يدعو للخلافةِ لا يعتبرُها كياناتٍ شرعيةٍ، فهذا من الغلاةِ الذين لا يصلحون أصلًا للخلافةِ.

وإذا كان مقصودُ من يدعو لنفسِه بالخلافةِ هو الوحدةُ بإعلانِ الخلافةِ، فكان الواجبُ عليه أن يرجِعَ للانضمامِ للإمارةِ الإسلاميةِ في أفغانستانَ، التي نكث ببيعتِها. لا أن يدَّعِيَ الخلافةَ بعقدِ مجموعةٍ من المجاهيلِ بغيرِ مشورةِ للمجاهدين والمسلمين، ثم يطالبُ غيرَه بأن يَحُلَ نفسَه.

***

وبعد هذا التوضيحِ والتأكيدِ أجيبُ على السؤالِ التالي: إذن ما السبيلُ الذي نختارُه لإقامةِ الخلافةِ؟

السبيلُ هو:

أولًا: تقويةُ الإمارةِ الإسلاميةِ في أفغانستانَ وإمارةِ القوقازِ.

ثانيًا: دعمُ الحركاتِ الجهاديةِ والسعي في توحيدِ الأمةِ حولها في مواجهةِ العدوِ الأكبرِ، مع مواجهةِ الوكلاءِ المحليين في كلِ قطرٍ.

ثالثًا: توسيعُ المشورةِ بين المجاهدين حول ملائمةِ الظروفِ لإعلانِ إماراتٍ إسلاميةٍ في الأماكنِ المختلفةِ حال توفرِ الظروفِ.

= ثم توسيعُ المشورةِ حول مسألتين خطيرتين:

الأولى: هل الظروفُ ملائمةٌ لإعلانِ خلافةٍ وهل اكتملت مقوماتُها؟

والثانية: إذا اتفق جمهورُ المجاهدين والدعاةِ الصادقين وأهلِ الفضلِ من المسلمين على أن مقوماتِ إعلانِ الخلافةِ قد اكتملت، وأن الظروفَ ملائمةٌ لإعلانها، فتتمُ المشورةُ حول من يصلحُ لتولي هذا المنصبِ؟

ومن يتفقُ عليه جمهورُ أهلِ الحلِ والعقدِ يبايعُ بالخلافةِ.

***

وفي ختامِ هذه الحلقةِ أتوجهُ برسالتين:

الأولى لعلماءِ الجهادِ ودعاتِه:

فأطالبُهم وألحُ في الطلبِ عليهم بأن يركزوا على تلك الجوانبِ التي لعلهم انشغلوا عنها بمعركتِهم مع أعداءِ الأمةِ المسلمةِ من الكفارِ الأصليين والمرتدين، مثلِ:

- التركيزِ على تزكيةِ النفسِ والتربيةِ الأخلاقيةِ.

- ومثلِ تنبيهِ المسلمين إلى شناعةِ إثمِ الافتراءِ والكذبِ واختلاقِ التهمِ ضد الناسِ عامةً والمسلمين خاصةً والمجاهدين على الأخصِ. وأن من يفتري على مسلمٍ أو كافرٍ بغيرِ دليلٍ فهو كاذبٍ، يقول الحقُ سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

- والتركيزُ على حرمةِ المسلمِ: مالِه وعرضِه ودمِه، وأن يذكروا المسلمين بقولِ الحقِ سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

- والتركيزُ على التخويفِ من الشططِ في التكفيرِ والتحذيرِ منه.

- وأن يبينوا للأمةِ:

= أننا دعاةُ شورى وعدلٍ وإنصافٍ، وأننا لا نريدُ أن نتسلطَ عليها باسمِ الإسلامِ، بل نريدُ أن تُحكمَ الأمةُ بالإسلامِ.

= وأن يبينوا للأمةِ أننا لا نكفرُها، بل نحن أرفقُ الناسِ بها وأحرصُهم على هدايتِها، وأولُ المدافعين عن حرماتِها، لا المنتهكين لها.

والرسالةُ الثانيةُ: هي تكرارُ الدعوةِ للمجاهدينِ للتحاكمِ للمحكمةِ الشرعيةِ المستقلةِ، وعودةِ من شذ من الصفِ الواحدِ للعودةِ إليه، ودعوةِ سائرِ المجاهدين في الشامِ والعراقِ للتعاونِ والتنسيقِ في مواجهةِ الحملةِ الصليبيةِ الرافضيةِ النصيريةِ العلمانيةِ. وفتحِ البابِ لأهلِ التقوى والعقلِ ليتدخلوا، وإبعادِ أهلِ الشطحاتِ والتهويلِ، والساعين في إذكاءِ الخلافِ، والدافعين لمزيدٍ من التعنتِ.

ثم الاستمرارُ في السعيِ في إقامةِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ، التي تقومُ على الرضا والشورى، لا على تفجيرٍ وتفخيخٍ ونسفٍ.

حبذا العيشُ حين قومي جميعٌ لم تفرقْ أمورَها الأهواءُ.

وأكتفي بهذا القدرِ، وألقاكم في حلقةٍ قادمةٍ إن شاء اللهُ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدِ وآلِهِ وصحبِهِ وسلمَ. والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

الحلقة السادسة

بسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وآلِهِ وصحبِهِ ومن والاهُ

أيها الإخوةُ المسلمونَ في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.. وبعدُ:

تحدثتُ فيما سبق عن الموقفِ الواجبِ تجاهِ الحملةِ الصليبية على العراق والشام، وعن الجريمةِ الباكستانيةِ الأمريكيةِ ضد وزيرستانَ، وعن أهمِ معالمِ الخلافةِ التي على منهاجِ النبوةِ، وعن ملائمة الظروف الحالية لإعلان الخلافة، وإذا لم تكنِ الظروفُ الآن مهيأةً لإعلانِ قيامِ الخلافةِ، فما هو البديلُ من أجلِ السعي في إقامتِها؟

***

وفي هذه الحلقةِ أودُ أن أتطرقَ لأمر أراه في غايةِ الخطورةِ على الأمةِ المسلمةِ، ألا وهو الخطرُ الصفويُ الإيرانيُ المتعاونُ مع الحملةِ الصليبيةِ المعاصرةِ.

***

وأبدأُ هذه الحلقةَ بتقديمِ عزائي لإخوانِنا الكرامِ الأعزاءِ في جبهةِ النصرةِ -نصر اللهُ بهم دينَه وكتابَه والمسلمين- على مصابِهم في استشهادِ الأخِ الكريمِ القائدِ أبي همامٍ الشاميِ وإخوانِه الكرامِ بقصفٍ صليبي، فأسألُ اللهَ أن يتغمدَ الأخَ الكريمَ أبا همامٍ الشاميِ ورفاقَه وسائرَ شهداءِ المسلمين برحمتِه، ويداويَ جرحاهم، ويتولى برعايتِه وعنايتِه أراملَهم وأيتامَهم وسائرَ المسلمين.

***

إخواني الكرامَ:

هناك حقيقةٌ واقعةٌ نعايشُها اليومَ؛ وهي أن التحالفَ الصليبيَ الآن يتعاونُ ويتواطؤُ ويتحالفُ مع إيرانَ الصفويةِ وأتباعِها.

وقد كان هذا التعاونُ جليًا في حربي أمريكا في أفغانستانَ والعراقِ باعترافِ القادةِ الإيرانيين أنفسِهم، ذلك التعاونُ الذي وثقه شريطا السحابِ بعنوانِ: (قراءةٌ للأحداثِ، وحقائقُ الجهادِ وأباطيلُ النفاقِ).

***

أما في ثغرِ الشامِ المباركِ فإن الصفويين الروافض يخوضون الآن حربًا علنيةً لا خفاء فيها ضد أهلِ الإسلامِ والسنةِ.

ويصرحون علنًا بأنهم سيدافعون عن نظامِ الأسدِ، وتتدافعُ للشامِ حشودُهم من أفغانستانَ والعراقِ ولبنانَ وغيرِها.

ويتعاونون وينسقون مع الروسِ من جهةٍ ومع تحالفِ الناتو من جهةٍ أخرى.

وهاهو وزيرُ الخارجيةِ الأمريكي يعلنُ أنه لا بد من التفاهمِ مع بشارِ الأسدِ لحلِ مشكلةِ الشامِ.

وللأسفِ –فإنهم وهم يتوحدون علينا– فإن هناك البعض الذي يصرُ على أن يبدأَ معركتَه معهم بمعركةٍ بين المجاهدين.

وبدلًا من أن نسعى جميعًا في إطفاءِ الفتنِ بين المجاهدين لتوحيدِ صفِهم في مواجهةِ عدوِهم المتوحدِ عليهم، يصرُ البعضُ على أن يخترعَ فتنًا وأسبابًا جديدةً للخلافِ، ويدعي ألقابًا ومناصبَ لا يستحقُها شرعًا ولا واقعًا.

إن تدميرَ الجهادِ في الشامِ بالفتنِ والغلوِ وتكفيرِ المجاهدين –بالشبهةِ ونصفِ الشبهةِ بل وبلا دليلٍ وأحيانًا بعكسِ الدليلِ– لن يصبَ إلا في مصلحةِ الحملةِ الصليبيةِ الصفويةِ العلمانيةِ النصيريةِ.

وهناك البعض الذي يتصورُ أنه لكي يبنيَ نفسَه لا بد أن يهدمَ غيرَه، ويتصورُ أنه لا بد من السعيِ في هدمِ كلِ الكياناتِ الجهاديةِ الأخرى ليعلنَ نفسَه الكيانَ الإسلاميَ الوحيدَ الصافيَ، ولذا لا بد أن يصمَ غيرَه بأن أمرَهم يتراوحُ بين الردةِ والخيانةِ والبغيِ والانتكاسِ.

وهو لا يدري أنه أولُ الخاسرين والمتضررين بهذا، فإن الكياناتِ الجهاديةَ السابقةَ له هي التي صدت ولا زالت تصدُ حملاتِ الصليبيين والعلمانيين والصفويين ضد الإسلامِ والمسلمين. بل ما هو إلا ثمرةٌ من ثمراتِها، بل ما عرفه الناسُ إلا من خلالِها، وكان يتمسحُ بها، ويلحُ في الطلبِ على تزكيتِه وذكرِه في إصداراتِها.

وبدلًا من أن يبني كلٌ منا على ما بناه إخوانُه الذين سبقوه في الجهادِ والهجرةِ، وبدلًا من أن نسعى لحشدِ الأمةِ ومجاهديها كلِهم أو أغلبِهم على اتفاقٍ ووحدةٍ لنصلَ لدولةِ الإسلامِ التي تقومُ على الشورى، كما قرر سيدُنا عمرُ –رضي الله عنه– في الحديثِ الصحيحِ: "الإمارةُ شورى"[40].

بدلًا من هذا النهجِ الراشديِ يصرُ البعضُ على أن يعلنَ نفسَه خليفةً ليس دون مشورةٍ، بل حتى دون إخطارٍ لأحدٍ، ثم بعد أن يعينَ نفسَه خليفةً يبدأُ في جمعِ البيعاتِ، فيقلبُ الأمرَ رأسًا على عقبٍ، فالذي نعرفُه من سنةِ الخلفاءِ الراشدين أن البيعاتِ تجمعُ بالرضا والاختيارِ أولًا، فإذا اتفق جمهورُ المسلمين انعقدتِ البيعةُ، ولكننا نرى النقيضَ، ثم يصرُ من يروجُ لهذا النقيضِ على أنها خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ.

وقد اعتاد من يروجُ لهذا التناقضِ على ترويجِ التناقضاتِ، فهو يطالبُ غيرَه بالسمعِ والطاعةِ له بينما هو عاصٍ لأميرِه، ويستدلُ على وجوبِ الطاعةِ له بقولِ الإمامِ أحمدَ –رحمه اللهُ– على وجوبِ طاعةِ المتغلبِ الذي يسمي نفسَه أميرَ المؤمنين، ولا يطبقُ هذا القولَ على أميرِ المؤمنين الملا محمدٍ عمرَ حفظه الله، الذي كان يصفُه ناطقُه بالجبلِ الأشمِ ويهتفُ أتباعُه باسمِه. ثم هو يجمعُ البيعاتِ لنفسِه بينما هو قد نكث بيعتَه لإمارتِه من قبلُ، فتأملِ الفسادَ المركبَ.

---

[40] مصنف عبد الرزاق– كتاب: المغازي– بيعة أبي بكر –رضي الله تعالى عنه– في سقيفة بني ساعدة– حديث رقم: 9760 ج: 5 ص: 446..

ويصرُ على إثارةِ مشكلةٍ كبرى تفرقُ المجاهدين وتؤدي للاقتتالِ وسفكِ الدماءِ بينهم، ويدعو ناطقُه لهدمِ كلِ جماعةٍ سواهم وتفجيرِ رؤوسِ المخالفين بدعوى شقِ الصفِ، بينما عدوُهم يتوحدُ عليهم، فهلا تعلمنا من عدوِنا شيئًا؟

وأنا هنا لا أخاطبُ أهلَ الغلوِ والتعنتِ والعنادِ والتهويلِ، الذين أسألُ اللهَ لي ولهم الهدايةَ. ولكني أخاطبُ أهل التقوى والخلقِ والعقلِ والحرصِ على وحدةِ المسلمين وانتصارِهم على عدوِهم المتوحدِ ضدهم. فأدعوهم في صفوفِ المجاهدين في كلِ التجمعاتِ الجهاديةِ لأن يسعَوا لإيقافِ التدميرِ الداخليِ للجهادِ، وأن يعملوا على توجيهِ طاقةِ المجاهدين ضد عدوِهم المتجمعِ ضدهم. فهل من سامعٍ وهل من مجيبٍ؟

وقد قدمتُ مبادرةً في هذا الشأنِ ذات بنودٍ محددةٍ أكررُها موجزًا للتذكيرِ:

أولًا: إيقافُ القتالِ فورًا بين جماعاتِ المجاهدين.

وثانيًا: إيقافُ الدعواتِ الداعيةِ لقتلِ المخالفِ وفلقِ رأسِه بالرصاصِ بدعوى شقِ الصفِ وما أشبهها من الخرافاتِ المفرقةِ لصفِ المسلمين.

وثالثًا: إنشاءُ المحكمةِ الشرعيةِ المستقلةِ، وتأكيدُ سلطتِها ونفوذِها وهيبتِها في إقليمي العراقِ والشامِ على جميعِ المجاهدين.

ورابعًا: السعيُ للعفوِ العامِ.

وخامسًا: المبادرةُ بالتعاونِ في كلِ مجالٍ ممكنٍ: كعلاجِ الجرحى، وإيواءِ الأسرِ، وتخزينِ المعداتِ، وتوفيرِ المؤنِ والذخائرِ، والعملياتِ المشتركةِ.

إن الجهادَ في الشامِ المباركِ هو أملُ الأمةِ الذي طال انتظارُها له، لأن الشامَ ومصرَ هما بوابتا الفتحِ لبيتِ المقدسِ، وتدميرُ الجهادِ في الشامِ تدميرٌ لأملِ الأمةِ المنشودِ، وإنهاكُ المجاهدين بالقتالِ الداخليِ هو غايةُ ما يتمناه أعداؤهم.

***

أما في العراقِ فإن الصفويين الآن يخوضون حربًا على أهلِ السنةِ، منذ أن دخلوا بغدادَ على ظهورِ الدباباتِ الأمريكيةِ.

وهي ليست حربًا فقط على من أعلن نفسَه خليفةً بلا مشورةٍ، ولكنها أوسعُ من ذلك وأكبرُ وأقدمُ، إنها حربٌ على أهلِ السنةِ في المنطقةِ، فقواتُ الحكومةِ الطائفيةِ الرافضيةِ هي التي هاجمت مخيماتِ الاعتصامِ في الأنبارِ قبل زعمِ الخلافةِ، والمليشياتُ الشيعيةُ هي التي ارتكبت أبشعَ الجرائمِ ضد أهلِ السنةِ كلِهم من قبلِ إعلانِ تلك الخلافةِ المزعومةِ، وقواتُ الحشدِ الشعبيِ الآن هي التي ترتكبُ الفظائعَ ضد أهلِ السنةِ كلِهم من وافق زاعمَ الخلافةِ أو من خالفَه.

إذن هي حربٌ على أهلِ السنةِ كلِهم بلا تمييزٍ، ولو تمكنت هذه القواتُ من السيطرةِ على أماكنِ أهلِ السنةِ فلن ترعَ فيهم إلًا ولا ذمةً.

وكما ذكرتُ من قبلُ: فبرغمِ عدمِ اعترافِنا بتلك الخلافةِ المزعومةِ، فإني قد دعوتُ وأكررُ الدعوةَ لتعاونِ كافةِ المجاهدين في إقليمي الشامِ والعراقِ في مواجهةِ الحلفِ الصليبيِ العلمانيِ الصفويِ النصيريِ، من أساء إلينا ومن أحسن، ومن ظلمنا ومن أنصف، ومن تأدب معنا ومن سَفِه، ومن افترى علينا ومن صدق، لأن الأمرَ أكبرُ منا إنه أمرُ حملةٍ صليبيةٍ صفويةٍ علمانيةٍ نصيريةٍ تُشن على الإسلامِ والمسلمين.

إن أصحابَ الخلافةِ المزعومةِ يدعون علنًا لهدمِنا ولهدمِ الإمارةِ الإسلاميةِ ولهدمِ كلِ من سواهم بدعاوى متهافتةٍ، ورغم ذلك فها نحن نمدُ لأهلِ التقوى والعقلِ منهم يدًا للتعاونِ على أساسٍ من التحاكمِ للشريعةِ، حرصًا على انتصارِ المسلمين ضد عدوِهم المتحدِ ضدهم.

أيها المسلمون والمجاهدون لقد دعا نائبُ البابا لشنِ حملةٍ دوليةٍ ضد المتطرفين، إذن هي الحربُ الصليبية، التي تواجهُنا بينما يكفرُ بعضُنا بعضًا ويهدمُ بعضُنا بعضًا ويقتلُ بعضُنا بعضًا.

أليست هذه الممارساتُ هي ما يتمناه دعاةُ الحربِ الصليبيةِ؟

يا أهل العقل والتقوى. نحن ندعو للتحاكمِ للشريعةِ على أيدي أهلِ الفضلِ المستقلين ليحكموا لنا أو علينا فلماذا يتهربون من ذلك؟ وندعو لتوحيدِ صفِ المجاهدين، فلماذا يخربون ذلك؟ وندعو لأن يعودَ الأمرُ شورى على سنةِ الخلفاءِ الراشدين، فلماذا ينفرون من ذلك؟ وندعو للوفاءِ بالعهودِ فلماذا يتملصون من ذلك؟

ألم نستمعْ لقولِ الحقِ سبحانه: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}؟

ولقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}؟

ولقوله سبحانه: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}؟

أسألُ اللهَ سبحانه أن يرزقَنا العزةَ على الكافرين والذلةَ للمؤمنين، وأن يؤلفَ بين قلوبِنا ويوحدَ بين صفوفِنا، وينحيَنا من الخلافِ والشقاقِ والفتنِ.

***

والصفويون الروافض يستخدمون اليوم الحوثيين كذراعٍ لهم في اليمنِ، وقد احتلوا صنعاءَ وغيرَها من المناطقِ، وصاح صائحُهم: إننا سنصلُ للحرمين بعد عدةِ سنواتٍ، ويعلنون أن عدوَهم الأولُ هم المجاهدون، ويتعاونون مع الأمريكانِ على قصفِهم وتتبعِهم.

وأشرافُ اليمنِ وأحرارُه وقبائلُه الأبيةُ ومجاهدوه الغيارى وعلى رأسِهم تنظيمُ قاعدةِ الجهادِ في جزيرةِ العربِ هم الصخرةُ الصماءُ التي تتحطمُ عليها مساعي الحوثيين عملاءِ الروافضِ ومؤامراتِ العلمانيين عملاءِ الأمريكانِ بفضلِ اللهِ ومشيئتِه.

ولا غرو في ذلك فهم تلاميذُ الإمامِ المجددِ الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ، تربَوا في مدرستِه وعاشره أكابرهم، وكانوا من الخُلصِ المقربين له، وحملوا رايتَه إلى جزيرةِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، وقدموا أمراءَهم وكبراءَهم واحدًا تلو الآخرِ فداءً لدينِ اللهِ سبحانه وتعالى، خالدَ الحاجَ ويوسفَ العييريَ وتركي الدندنيَ والشيخَ عبدَ اللهِ الرشودَ وعبدَ العزيزِ المقرنَ وصالحَ العوفيَ وأبا عليٍ الحارثيَ وأنورَ العولقيَ وسعيدَ الشهريَ -رحمهم اللهُ- والمئاتِ غيرَهم من السائرين في قافلةِ الشهداءِ تقبلهم اللهُ سبحانه وأسكنهم فسيحَ جناتِه، كما تقربوا لربهم بمئاتِ الجرحى وآلافِ الأسرى، الذين أمضى الكثيرُ منهم سنينًا طويلة في الحبسِ والعزلِ، بل منهم من مات في السجونِ، بينما يخرجُ معتقلو الرافضةِ سريعًا من السجنِ، لأن آلَ سعودٍ ووكلاءَ الأمريكانِ في صنعاءَ يرضخون لضغوطِ إيرانَ التي تدافعُ عن أتباعِها.

قدم إخواننا في جزيرةِ العربِ كل ذلك ولا زالوا يقدمون لكي تتطهرَ جزيرة العربِ ومهبطَ الوحيِ، ويتحققَ فيها قولُ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم: "أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"(41).

وتصدَوا ولا زالُوا -بفضلِ اللهِ- يتصدَون لحكامِ آلِ سعودٍ وللصليبيين ووكلائِهم العلمانيين وللروافضِ وأذنابِهم الحوثيين في جزيرةِ العربِ، ووفقهم اللهُ لنقلِ عملياتِهم لقلبِ الغربِ الصليبيِ، وكانت آخرُ نعمِ اللهِ عليهم؛ أن شرفهم سبحانه بالثأرِ لنبيِه -صلى اللهُ عليه وسلم- ممن تعدَوا عليه في غزوةِ باريسَ المباركةِ.

وبرغمِ كلِ ذلك التاريخِ المشرفِ الذي أسألُ اللهَ أن يتقبلَه منهم، يأتي من يقولُ لهم: حُلوا جماعتَكم وانكثوا بيعتَكم كما نكثتُها، وادخلوا تحت سلطاني، ثم يضيفُ: إن الحوثيين لم يجدوا من يتصدى لهم.

وكان الواجبُ عليه أن يقولَ لهم: جزاكم اللهُ خيرًا على سبقِكم فقد سبقتمونا للجهادِ والهجرةِ، وجزاكم اللهُ على حسنِ بلائِكم، ولنتعاونْ في صدِ الهجمةِ الصليبيةِ الصفويةِ العلمانيةِ النصيريةِ على الإسلام والمسلمين، ولنتفقْ وجميعُ المجاهدين على محكمةٍ شرعيةٍ مستقلةٍ من أكابرِ علماءِ الجهاد الذين شهد لهم القاصي والداني بالصدقِ في القولِ والعملِ، حتى يتوجهَ جهدُنا كلُه ضد أعدائِنا، ولا نضيعَه في إثارةِ الفتنِ بينَنا، هكذا كان يجبُ أن يكونَ أسلوبُ الحريصِ على نصرِ المسلمين على أعدائِهم المتحدين عليهم.

وحكامُ جزيرةِ العربِ من آلِ سعود وكلاءُ أمريكا وبريطانيا من قبل وعبدُ ربه الأمريكي ومشايخُ دكاكينِ النفطِ على ساحلِ الخليجِ، الذين عين آباءهم السير بيرسي كوكس، والذين يستظلون بأسوارِ القواعدِ الأمريكيةِ، ويعملون كمتعهدي توفيرِ خدماتٍ نظيفةٍ وغيرِ نظيفةٍ لجنودِها.

---

(41) صحيح البخاري- كِتَاب الْجِزْيَةِ- باب إِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ- حديث رقم: 3168 ج: 4 ص: 120.

هؤلاء لن يدافعوا عن الحرمين، لأنهم وأجدادَهم من قبلِهم قد باعوا أنفسَهم وبلادَهم للبريطانيين ومن بعدِهم للأمريكان، وهؤلاء أولُ من سيفرون إذا وصلهم الغزوُ الرافضيُ الصفويُ، كما فر مِن قبلِهم أميرُ الكويتِ عند غزوِ صدامٍ لها. هؤلاء يتطلعون لأمريكا لتدافعَ عنهم، وأمريكا لا تدافعُ إلا عن مصالحِها، وإيرانُ تتفاهمُ مع أمريكا على تبادلِ المصالحِ، وليذهبْ حكامُ الخليجِ إلى حيثُ ألقتْ.

ولن يدافعَ عن الحرمين إلا المجاهدون الشرفاءُ من العالمِ الإسلامي عامةً، ومن أهلِ جزيرةِ العربِ خاصةً، أحفادُ الصحابةِ رضوان اللهُ عليهم، وأحفادُ الفاتحين الذين نشروا الإسلامَ شرقًا وغربًا، والذين خرج من أحفادِهم من ألِ بيتِ رسولِ اللهِ –صلى اللهُ عليه وسلم– الكرامِ وقبائلِ غامدَ وزهرانَ وبني شهرٍ وبني حربٍ خمسةَ عشرَ بطلًا من النسورِ الاستشهاديةِ التي دكت وزارةَ الدفاعِ وبرجي التجارةِ في أمريكا رحمهم اللهُ رحمةً واسعةً، والذين يتصدرُهم اليومَ إخوانُنا الكرامُ البواسلُ في تنظيمِ قاعدةِ الجهادِ في جزيرةِ العربِ.

والذين استبشر بهم الإمامُ المجددُ أسامةُ بنُ لادنٍ –رحمه الله– حين قال لأهلِنا في فلسطينَ: "ونُبشرُكم أن مددَ الإسلامِ قادمٌ، وأن مددَ اليمنِ سيتواصلُ بإذنِ اللهِ الواحدِ الأحدِ".

فيا أمةَ الإسلامِ ويا أحفادَ الصحابةِ الأحرارَ الأعزاءَ الشرفاءَ ويا أيها العلماءُ العاملون ويا أيتها القبائلُ الأبيةُ العزيزةُ ويا أيها التجارُ الأمناءُ والزعماءُ الغيارى ويا أيها المسلمون في جزيرةِ العربِ وفي سائرِ ديارِ الإسلامِ ادعموا إخوانَكم المجاهدين في معركتِهم للدفاعِ عن جزيرةِ العربِ جزيرةِ محمدٍ صلى اللهُ عليه، وللدفاعِ عن الحرمين الشريفين ضد الغزوِ الرافضيِ الصفويِ الزاحفِ إليهما من الشرقِ في الكويتِ والقطيفِ والدمامِ والبحرينِ ومن الجنوبِ في نجرانَ واليمنِ ومن الشمالِ في العراقِ والشامِ، بل تنظيماتُ الصفويين الجددِ موجودةٌ الآن في مدينةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم. وهاهم الحوثيون يقومون بمناوراتِهم على حدودِ السعوديةِ.

فادعموا إخوانَكم المجاهدين بالنفيرِ لهم وبالمالِ وبالمعلوماتِ وبالرأيِ وبالدعاءِ وبكلِ ما تستطيعون. ادعموهم قبل أن يتسلطَ عليكم تجارُ الدينِ جباةُ الخمسِ من مراجعِ الضلالِ فينتهكوا حرماتِكم ويستبيحوا بيضتَكم كما انتهكوا حرماتِ إخوانِكم وأخواتِكم في العراقِ والشامِ، ادعموهم قبل أن تسمعوا سبَ الصحابةِ وأمهاتِ المؤمنين –رضوان الله عليهم– جهارًا في جنباتِ الحرمين، ادعموهم قبل أن يفعلَ بكم الصفويون الجددُ ما فعله إسماعيلُ الصفويُ بإخوانِكم أهلِ السنةِ في إيرانَ، ادعموهم قبل أن تندموا حين لا ينفعُ الندمُ.

وأكتفي بهذا القدرِ، وألقاكم في حلقةٍ قادمةٍ إن شاء اللهُ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدِ وآلِهِ وصحبِهِ وسلمَ. والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.